جامعـة
المنصــورة
كليـــة الآداب

من بلاغة التمثيل في أحاديث صحيح البخاري

إعـــداد

الدكتور / إبراهيم عبد اللطيف المعدّاوي الإمام

دكتوراه في الآداب

جامعة المنصورة . كلية الآداب

مجـــلة كلـــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة

العدد الثالث و الخمسون – أغسطس ٢٠١٣

من بلاغة التمثيل في

أحـــاديث صحيـــح البخـــاري

د. إبراهيم عبد اللطيف المعدّاوي الإمام*

التمثيل في الوضع اللغوي :

يقال : هذا مِثله ومثَله ، كما يقال : شبهه وشَبَهه ، والمِثْل : الشِبه ، ويقال : مِثلٌ ، ومَثَل ، وشِبهٌ وشَبَه بمعنى واحد . والمِثْل والمَثيل كالمِثل ، والجمع أمثال ، والمَثَلُ : الشيء يضرب لشيء مثَلاً ، فيجعل مثله ، ومَثَل الشيء : صفته ، ويقال : تمثَّل فلان : ضرب مثلاً ، وتمثَّل بالشيء : ضرب مثلاً . [1]

ويقال : ماثل الشيءَ : شابهه ، ومثل الشيءَ بالشيء تمثيلاً : شبَّهه به وقدره على قدره ، والشيء لفلان : صوره له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه ، وتماثل الشيئان : تشابها ، وتمثَّل الشيءَ : تصوَّر مثاله ، وتمثل بالشيء : جعله مثلاً أو مثالاً ، ويقال : هذا مثلٌ فتمثَّله أو تمثَّل به ، والمِثل : الشِّبْه والنظير.[2]

فالتمثيل فى الوضع اللغوى هو التشبيه والمشابهة والتقدير **، أما فى اصطلاح البلاغيين** فإنه لم يخرج عن معناه فى اللغة ، فهو نوع من أنواع التشبيه ، فقد جعل (عبد القاهر الجرجانى ت ٤٧١هـ) التشبيه على ضربين : الأول . تشبيه غير تمثيلي ، وهو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيناً بنفسه ، لا يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر ؛ لأن المشبه فيه مشارك للمشبه به فى صفته ، وذلك إذا كان وجه الشبه فيه

---

* دكتوراه في الآداب . جامعة المنصورة . كلية الآداب .

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب : مادة مثل

(٢) انظر : معجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة (المعجم الوجيز) مادة : مثل .

حسياً أو عقلياً حقيقياً أى ثابتاً متقرراً فى ذات الموصوف ، ومن أمثلته على هذا النوع ((الخد كالورد فى الحمرة)) فالخد يشارك الورد فى الحمرة نفسها، وتجدها فى الموضعين بحقيقتها .[١] فالحمرة نجدها فى أصلها وحقيقتها موجودة بين المشبه الخد ، وبين المشبه به الورد ، أى أن الوصف الذى يشترك فيه طرفا التشبيه غير التمثيلى (الصريح) يوجد على سبيل الحقيقة وتجده العين فى الطرفين.

وأما النوع الثاني للتشبيه : فهو ما كان صفته أو وجه شبهه أمراً غير بيِّن بنفسه ، بل يحتاج إلى ضرب من التأول وصرف عن الظاهر ؛ لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الحقيقية . ومن أمثلته : (اللفظ كالعسل فى الحلاوة) فاللفظ يشارك العسل فى الحلاوة لا من حيث حقيقته بل من جهة حكم أو أمر يقتضيه .([٢]) وأخذ عبد القاهر يفسر ذلك بأن هذا النوع ((يجيء على سبيل التقدير والتنزيل ، فأما ألا تجد فصلاً بين ما يقتضيه العسل فى نفس الذائق وما يحصل باللفظ المُرْضِىّ والكلام المقبول فى نفس السامع ، فما لا يمكن ادعاؤه إلا على نوع من المقاربة أو المجازفة ، فأما على التحقيق والقطع فلا ، فالمشابهات المتأوّلة التى ينتزعها العقل من الشيء للشيء لا تكون فى حد المشابهات الأصلية الظاهرة ، بل الشبه العقلى كأن الشيء به يكون شبيهاً بالمشبه)).([٣])

إذاً وجه الشبه فى النوع الثانى للتشبيه لا يكون إلا عقلياً أى غير متقرر فى ذات الموصوف إلا بتأول ، ومن ثمَّ يتضح لنا أن (عبد القاهر) جعل التشبيه على ضربين . كما ذكرنا . إلا أنه يطلق التمثيل على الضرب الثانى منهما ، وهو ما لا

([١])انظر : عبدالقاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة " قراءة وتعليق / محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرةوجدة : ط أولى ، عام ١٩٩١م ص ٩٨ وما بعدها .

(١) انظر : عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة "ص :٩٨.

(٢) عبد القاهر الجرجاني : " المصدر نفسه " ص ١٠٠

يكون وجه الشبه فيه أمراً بيِّناً بنفسه بل يحتاج إدراكه إلى ضرب من التأول والتنزيل وصرف عن الظاهر ، وعلى هذا يكون التشبيه أعم من التمثيل ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس العكس ، فليس كل تشبيه تمثيلاً، فأنت تقول فى قول قيس ابن الخطيم :

وقد لاح فى الصّبح الثُّريا لمَنْ رأى كَعنقُودِ مُلاحيَّة حين نوَّرا

إنه تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل .([1])

فهذا التشبيه من الضرب الأول الذى يحصل وجه شبهه من النظر الأول دون الحاجة إلى إمعان الفكر والتأمل فيه ، فهو تشبيه للشيء بالشيء من حيث الصورة واللون ، ولذا صحَّ أن يقال عنه تشبيه وليس تمثيلاً ولكن التمثيل ينحصر موقعه . كما يقول عبد القاهر . فى أنه يجيء فى عدة جمل : ((ينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى والتشبيه الذى هو الأولى بأن يسمى " تمثيلاً " لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى إن التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجمل أكثر)) ([2]).

وقد اختلف العلماء المتخصصون فى البلاغة . بعبد عبد القاهر . فى تحديد المراد من مصطلح " التمثيل " فذهب (الخطيب القزوينى ت ٧٣٩هـ) ومن تابعه من المتأخرين إلى القول بأن التمثيل مرادف للتشبيه المركب ، بمعنى أنه ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من عدة أمور ، سواء أكان هذا الوجه أمراً حسياً أم أمراً معنوياً .([3])

---

(3) انظر : عبد القاهر الجرجاني : " المصدر نفسه ": ص ٩٥.

(١) عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة " ص ١٠٨.

(٢) انظر الخطيب القزويني : " الإيضاح فى علوم البلاغة " تحقيق : د/ عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، طبعة أولى ، عام ١٩٩٦ م ، ص ٢٨٦ . وانظر : د/ شفيع السيد : " التعبير البياني " مكتبة الشباب ، القاهرة ، د ت ، ص ٦١.

أما (السكاكى ت ٦٢٦هـ). قبل الخطيب . فقد ذهب إلى أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه وصفاً غير حقيقى ، وكان منتزعاً من عدة أمور ، فالوصف غير الحقيقي لابد أن ينظر إليه بشيء من التأول والتنزيل . كما قال عبد القاهر . مثل قول ابن المعتز :

اصْبُر على مضضِ الحسو دِ فإنَّ صبرَكَ قاتلُه

فالنارُ تأكلُ نفسَها إنْ لم تجدْ مَا تأكلُه

فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته ، مع تطلبه إياها ؛ لينال بها نفثة مصدور ، بالنار التى لا تُمد بالحطب ، فوجه الشبه هنا منتزع من متعدد ، وهو إسراع الفناء ؛ لانقطاع ما فيه مدد البقاء .(١) فالسكاكى يشترط فى وجه الشبه فى التمثيل أن يُنظر فيه إلى تأويل وصرف له عن الظاهر مع كونه منتزعاً من متعدد، لكن الإمام عبد القاهر . قبله . قد حدد معنى التمثيل أو التشبيه القائم على التمثيل بأن يحتاج فى وجهه إلى تأويل وصرف له عن الظاهر ، أو هو تشبيه عن طريق العقل ((وعبد القاهر بهذا التحديد لمعنى التمثيل يتغاضى عن شرط التركيب من عدة أمور ، وهو الأمر الذى اشترطه كل من الخطيب القزوينى والسكاكى ، ومن ثمَّ فإن التمثيل عنده يطلق على التشبيه المفرد والمركب ، ما دام وجه الشبه فى كليهما يحتاج إلى تأول)).(٢) فوجه الشبه في التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر أن يكون أمراً غير بيِّن بنفسه لا يدرك إلا بعد تأول وصرف له عن الظاهر إذا كان عقلياً غير غرزي سواء كان

---

(١) انظر" السكاكي :" مفتاح العلوم " ت / نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ت ص : ١٧٩.

(٢) د. شفيع السيد : " التعبير البياني " ص ٦١.

مفرداً أو مركباً ، أما السكاكي فيرى أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير غرزي وكان مركباً .([1])

ومن التمثيل : تشبيه السُّنن بالنجوم ، وتشبيه البدع والضّلال بالظّلام ، والأصل هنا هو ما يدرك بالحواس ، وما يدرك بالحواس هو النجوم والظلام ، فمعلوم أن ما يدرك عن طريق الحواس مقدم على ما يدرك عن طريق العقل ، وما يدرك عن طريق العقل فى هذا المثال هو (السّنن ، والبدع والضلال) ومن ثمَّ ينبغى البحث عن تأويل . كما رأى عبد القاهر . ((ومبنى التأويل هو ما شاع من وصف السُّنة بالبياض والإشراق حتى صارت كأنها أصل يقاس عليه فى ذلك، و ما شاع من وصف البدعة والضلال وكل ما هو مخالف لأمر الدين بالظلام والسواد حتى خيل أنها أصبحت جنساً فى هذا المعنى يلحق به غيره)).([2])

ومن المعلوم أن الأصل فى التشبيه الحقيقي هو المشبه به ، وأن الفرع هو المشبه الذى يراد إلحاقه بالأصل على نحو ما يراد من وصف الرجل الشجاع بالأسد ؛ لأن صفة الشجاعة فى الأصل . المشبه به . واضحة بيِّنة ، بينا هى فى الفرع . المشبه . غير بيِّنة ، فيلحق الفرع بالأصل على سبيل التشبيه ، وقد يعكس التشبيه على سبيل المبالغة والتخييل ومنه ، قول قول محمد بن وهيب :

وبَدا الصَّباحُ كأنَّ غُرّتَهُ وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتدحُ

---

(٣) ينظر : د: عبد الرازق محمد محمود فضل :" من طرائق البيان . التشبيه " مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط أولى ، عام ١٩٩٠م ، ص ١٠٤. والمراد بالمعنى العقلي الغرزى ما كان صفة قائمة بالنفس البشرية كالشجاعة والجبن والكرم والبخل والذكاء والغباء وغير ذلك . وهى من الأمور النفسية التى لا تدرك بالحس ، لكنها تدرك من الوهلة الأولى ؛ لوضوحها .

(١) د/ شفيع السيد : " التعبير البياني " : ص ٦٦. وانظر : د/ عبدالعزيز عتيق :" علم البيان " دار الآفاق العربية ، ط أولى عام ٢٠٠٦م ، ص ٥٨.

فالأصل أن " الصباح "هو الذى يشبه به غيره فى النور والإشراق ، ولكن الشاعر عكس الوضع ، فجعل وجه الخليفة أعرف وأشهر ، وأتم فى النور والإشراق من الصباح ، فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعاً ، ووجه الخليفة أصلاً .(١)

أما إذا جئنا إلى عكس التمثيل ، فإنها لا تتأتى على الوجه الذى كانت عليه فى التشبيه الصريح إلا إذا كان مبنياً على وجه من التأول والتخييل يخرج عن الظاهر خروجاً ظاهراً، ومنه قول الشاعر : (٢)

ولَقَدْ ذَكَرْتُك والظلامُ كأنَّه يومَ النَّوى وفؤاد مَنْ لَمْ يَعْشَق

فالشاعر عبّر فى هذا البيت عن حبه العميق لمحبوبته ، فذكر أنه لم ينساها حتى فى أوقات الشدة التى من شأنها أن تُلهى كل ذى لُب عمَن يحب ، وقد أتى الشاعر بهذا المعنى من خلال التمثيل المعكوس ، فقد شبه الظلام بيوم الفراق ، و- أيضاً . شبه الظلام بفؤاد مَنْ لم يذق العشق ، وواضح أن التشبيهين معكوسان ؛ إذ الأصل أن يشبه الفراق وقلب مَن لم يحب بالظلام ، فطبيعي أن صفة السواد تامة واضحة فى الظلام ، ومن ثم يبحث عب القاهر عن تأويل لذلك ، فيقول : ((ولما كانت الأوقات التى تحدث فيها المكاره توصف بالسَّواد ، فيقال : اسودَّ النهار فى عينى ، وأظلمت الدنيا علىَّ ، جعل يوم النَّوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام ، فشبه به ثم عطف عليه فؤاد مَن لم يعشق تظرفاً وإتماماً للصفة ، وذلك أن الغَزِل يدَّعى القسوة على مَن لم يعرف العشق ، والقلب القاسى يوصف بشدة السواد، فصار هذا القلب عنده أصلاً فى الكدرة والسواد فقاس عليه)).(٣)

---

(٢) انظر : عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " : ص ٢٢٣.

(٣) انظر : عبد القاهر الجرجاني : " المصدر نفسه ": ص ٢٢٧.

(١) انظر : عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة " : ص ٢٢٧ وما بعدها

إذاً التمثيل يرتبط بالتشبيه الذى يدرك فيه وجه الشبه عن طريق التأويل ، أو هو التشبيه الذى يجرى بين الأشياء المعنوية التى تدرك بالعقل ، والأشياء الحسية التى تـدرك بـالحواس ، وإنمـا يدفعـه إلـى ذلـك أن التماثـل أو التشـابه فـى الصـفة بـين المحسوسات التى يعقد بينها التشبيه أمر واضح ، والتمثيل يرتبط أكثر بذلك النوع من التشبيه الذي يُشبَّه فيه أمرٌ معنوي بأمر حسي ، فإننا نبحث لذلك الأمر الأول عن صـفة حسـية ، نخلعهـا عليـه ، ونصـبغه بهـا ؛ ليكـون مـاثلاً مجسـداً أمـام العيـان ، والتمثيل أجدر بهذا الاسم ؛ لأنه يمثل المعنى المجرد أو الإحساس النفسي والشعور الباطني ، و يبرزه فى صورة مادية ملموسة ، وليس كذلك التشبيه الصريح أو الأصلي ، ويستوي فى ذلك أن يكون التمثيل لمعنى واحد أو عدة معان مرتبطة متآلفة طالما أن وجه الشبه والصفة النفسية الجامعة بين الطرفين تدرك عن طريق التأويل .([1])

وإننى فى هذا البحث لا أخوض فى ذكر آراء البلاغيين قديماً وحديثاً فى التمثيل وما يتصل به من فنون بلاغية كالتشبيه وغيره ، ولكن نقصد به بيان التمثيل بين حالين أو معنيين أو صورتين وردت فى الحديث الشريف، وإبراز ما فيها من بلاغة من خلال الشواهد التى عثرنا عليها فى صحيح البخاري ، والوقوف على درسها ، وبيان ما فيها من أثر بلاغي على المتلقي ، وقد جاءت فى أحد عشر حديثاً .

الحديث الأول :

عن ابن عمر عن النبى . صلى الله عليه وسلم . قال: ((إنَّ من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم ، فأردتُ أن أقول هى النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكتُ ، فقال النبى . صلى الله عليه وسلم . هى النخلة)).([2])

---

(٢) انظر : د / شفيع السيد : التعبير البياني " : ص٧٠.

(١) صحيح البخاري : حديث رقم ٧٢ . وانظر حديث رقم : ٥٧٧١.

هذا الحديث يدور حول بيان حالة النخلة وتمثيلها بحالة المسلم ، والنخلة نوع من أنواع الشجر فى بلاد العرب ، وهو شجر طيب الأصل ، جزعه ممتد فى باطن الأرض ، وفرعه فى السماء ، يؤتى أكله كل حين ، وثمارها طيب ، محبب عند العربي ، فلها نفعٌ وفضل ، هذا بالإضافة إلى علوها وارتفاع أصلها ، وقد مثل الحديث الشريف حالة هذه الشجرة بحالة المسلم ، فإذا قال قائل ما وجه التمثيل بينهما ؟ أهو فى طولها أم فى أصلها ؟ أم فى أى شيء ؟ . قلت : إن الحديث الشريف جاء لتمثيل حالة (النخلة) بحالة المسلم ، فلابد أن يكون الرسول . صلى الله عليه وسلم . قد لمح بينهما تشابهاً ، وتماثلاً فى شيء ما ، فذكر الحديث على هذا الوجه .

فليس من شك فى أن وجه الشبه أو الصفة النفسية التى تجمع بين تمثيل النخلة بالمسلم ، لا يمكن إدراكها على سبيل الظهور كما فى التشبيه الصريح ، ولكن هذا الوصف الجامع بين الشيئين يدرك بالتأمل وإمعان النظر بينهما ، فالرسول الكريم حين مثل حالة النخلة بحالة المسلم ، لم يكن بداهة فى طول كل منهما ؛ لأن لا وجه مقارنة فى طول الشجرة وارتفاعها بطول المسلم على الحقيقة ، وإنما كان وجه الشبه فى التمثيل على سبيل التأول الذى نستشفه من طبيعة كل منهما ، وهو النفع الحاصل من كليهما ، وهذا الوجه معنوي ((فالمشابهات المتأوّلة التى ينتزعها العقل من الشيء للشيء لا تكون فى حد المشابهات الأصلية الظاهرة ، بل الشبه العقلي كأن الشيء به يكون شبيهاً بالمشبَّه)) (١).

فالنخلة نافعة ولها شأن فى حياة الإنسان على وجه أعم ، وفى حياة البدوي على وجه أخص ؛ لأنه فى بيئته البدوية يزرع النخل ، ويفيد منه أكثر من الإنسان المتمدن ، فإذا كان النفع الحاصل من النخلة هو الثمار الذى يأكله الإنسان ، فإن النفع الحاصل من المسلم هو العمل الصالح الذى ينفعه ، وينفع به غيره .إذاً لا يخرج

---

(١) عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة " : ص ١٠٠.

من النخلة ومن المسلم إلا كل طيب ونافع ، فكل منهما له شأنه وقدره وعظمته ، ومن ثمَّ حسن تمثيل النخلة بالمسلم فى هذا الحديث .

وبلاغة التمثيل هنا تكمن فى الجمع بين شيئين مختلفين تمام الاختلاف ، ومحاولة الجمع بينهما فى وجه شبه فيه من الطرافة والغرابة ، وهذا لا يخفى موضعه من العقل ، ولعلنا ندرك . أيضاً . فى هذا التمثيل قيمة المسلم وعلو قدره وارتفاع شأنه بين الناس كما هو حال النخلة بين الشجر . و ندرك من الوهلة الأولى أن هذا التمثيل مؤكد ب (إنَّ) ، حتى لا يشك شاك فى قيمة المثل ومكانته بين الخلق ، ونلاحظ . أيضاً . أن التمثيل فيه مبالغة فى مدح المسلم ؛ إذ التمثيل جعل النخلة مثل المسلم ، فالتمثيل هنا معكوس ، فجعل المشبه مشبهاً به والعكس ؛ وعكس التمثيل لا يرد إلا على سبيل المبالغة ، فالنفع ثابت فى النخلة ، ظاهر فيها ، ولا يدرك فى المسلم إلا بالتأمل عن طريق العقل .

الحديث الثاني :

عن أبى موسى الأشعري . رضى الله عنه . عن النبى . صلى الله عليه وسلم . قال : ((مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكِير الحداد [ونافخ الكير] لا يعدمك من صاحب المسك إمَّا أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة)) .(١)

---

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ١٩٩٥.

فى هذا الحديث الشريف تمثيلان : الأول . تمثيل حالة الجليس الصالح بحالة صاحب المسك* أو بائعه ، والتمثيل الثاني . تمثيل حالة جليس السوء بحالة كير الحداد أو نافخ الكير ، فالرسول . صلى الله عليه وسلم . يرشدنا إلى أن نحسن اختيار الصديق ، فضرب لنا مثلاً ملموساً ، يوضح لنا أهمية الصديق فى حياتنا ، فكل منا يحرص على أن يكون له أصدقاء ، ولذا أرشدنا إلى اختيار الصديق الخيِّر ومجالسته ، وتجنب مجالسة الصديق السوء ، وذلك عن طريق التمثيل ، فقد مثل الجليس الصالح بصاحب الروائح الطيبة ، فمجالسته فى كل الأحوال فيها نفع ، فلا يعدم المرء أن يفيد منه شراء تلك الروائح الطيبة ، أو يشم منه طيب الرائحة أو نأخذها منه على سبيل الهبة أو العطية أو الهدية ، فقد قال . صلى الله عليه وسلم . (تهادوا تحابوا)، فهذا حال الجليس الصالح إما أن يعين صاحبه على الخير ، وإما أن ينصحه أو يرشده أو يوجهه إلى عمله ، وإما أن الصديق يقتدي به ، فيكتسب منه الصفات الحسنة ، أو السمعة الطيبة ، التى هى مثل الرائحة الطيبة تنتشر بين الناس .

وفى التمثيل الثاني . نجد النبى . صلى الله عليه وسلم . يمثل حالة جليس السوء بحالة مَنْ يجلس بجوار كير الحداد ، فمجالسته كلها ضرر ، فقد يحترق جسده بناره ، أو تخرق النار ثيابه ، أو على الأقل لا يعدم أن يشم منه رائحة الدخان وهى رائحة نتنة خبيثة ، فكذلك حالة جليس ، لا يعدم مَنْ يصاحبه أن يلحقه ضرر وفساد أو يتأثر به وبسلوكياته ، فينحرف عن الطريق ، أو على الأقل يصاب بسوء السمعة بين الناس ، فالقرين بالمقارن مقتدى . ومن ثمَّ فمصاحبة الأصدقاء الأخيار فيها خير ونفع ، ومصاحبة الأصدقاء الأشرار فيها شر وضرر ، والمعنى المراد من الحديث

* فى رواية حامل المسك وهو أعم من أن يكون صاحبه ، انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٣٤٨/٤

واضح ((فى النَّهي عن مجالسة مَنْ يتأذى بمجالسته فى الدين والدنيا ، والترغيب فى مجالسة مَنْ ينتفع بمجالسته فيهما)).([1]) فالتمثيل فى هذا الحديث يدعونا إلى حسن اختيار الأصحاب ، وأخذ الحيطة والحذر عند مجالستهم .

وبلاغـة هـذا التمثيـل تكمـن فـى أن هـذا الحـديث فيـه ترغيـب فـى مجالسـة الصـالحين الأخيـار ، وفيـه ترهيـب مـن مجالسـة الطـالحين الأشـرار ، وتوضـيح هـذا المعنـى من خـلال المفردات المتضـادة التى ينتقل فيها الذهن من الشـيء إلى نقيضـه :الجليس الصـالح ، والجليس السوء . صـاحب المسك ، ونـافخ الكير . تجد ريحـه أى المسك ، وريحاً خبيثة ، فالطباق والمقابلة هنا ، لها أثر فى توضيح المعنى وتحقيقه فـى نفس المتلقـي ، وهـو التقـرب والتـودد مـن الجلـيس الصـالح ، والبعـد والنفـور مـن الجليس السوء .

ووقوع التمثيل فى صدر الحديث (يبعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيداً بالبرهان) . ([2])

ولا يخفى أن هذا التمثيل فيه تقريب المعنى فى ذهن المتلقي . أيضاً . عن طريق ضرب المثل المحسوس ، فالذهن أكثر فهماً وقبولاً للأشياء التى يدركها عن طريق المشاهدة والعيان من الأشياء المعنوية ، فالأشياء الممثَّل بها فى هذا التمثيل أشياء مادية من واقع الحياة المعيشة للإنسان ، ومن ثمَّ فهى أدلُّ على التحقيق ، وأبلغ فى الإفادة .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٣٤٩/٤.

(٢) عبد المتعال الصعيدي :"البلاغة العالية : علم البيان " مكتبة الآداب بالقاهرة ، ط أولى ،عام ٢٠٠٠م، ص ٥١

وبلاغة هذا الحديث . أيضاً . تدرك من خلال استخدام النبى . صلى الله عليه وسلم . للجمل الاسمية والفعلية ، فلما كان الحديث عن حقيقة ثابتة ومؤكدة ، لا يرقى إليها شك ، وهى أن مجالسة الصديق الصالح فيها نفع ، ومجالسة الصديق السوء فيها ضرر، عبر عن ذلك بجملة اسمية (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد أو نافخ الكير) للدلالة على الثبوت والاستمرار ، قال السكاكى : ((وأما الحالة المقتضية لكونها اسمية ، فهى إذا كان المراد خلاف التجدد والتغير).(١)

ولما كان حديث النبى عن شيء يتكرر ويقع حدوثه على سبيل التجدد ، وهو أنه لا يعدمنا من مصاحبة النوعين الممثِّل لهما ، أن نشترى من صاحب المسك أو نشم منه الريح الطيب أو نأخذ منه هدية ، وأن يحرق نافخ الكير الجسد أو يخرق الثوب أو نشم منه رائحة خبيثة ، كان ذلك مناسباً لأن يعبر عنه بجمل فعلية ، حيث إن المراد من الجمل الفعلية الدلالة على التجدد وعدم الثبوت ، قال السكاكى : ((وأما الحالة المقتضية لكون الجملة فعلية ، فهى إذا كان المراد التجدد)).(٢)

وجمال بلاغة هذا التمثيل . أيضاً . تدرك من حسن تقسيم النبى . صلى الله عليه وسلم . لمعناه وصحته واستيفائها ، فقال فى الأثر الذى ينجم عن مصاحبة صاحب المسك . الجليس الصالح . إما أن نشتريه أو تجد ريح ، وعن الأثر الناجم عن كير الحداد . الجليس السوء . يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة ، فليس فى أقسام الممثَّلين بهما إذا سُئِل عن ذلك غير هذه الأقسام ، والتقسيم الصحيح كما قال

---

(١) السكاكى : " مفتاح العلوم " ت / نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ت ،ص ٢١٨.

(٢) السكاكى : " المصدر السابق " : ص نفسها .

أبو هلال العسكري : ((أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه)).(١)

والتقسيم فى هذا التمثيل لم يخرج عن جنسه شيء آخر يمكن أن يندرج ضمنه، ومن ثمَّ فالتقسيم له أثر فى إدراك المستمع للمعنى المراد من الحديث ، والاستجابة له .

الحديث الثالث :

عن النعمان بن بشير . رضى الله عنهما . عن النبى . صلى الله عليه وسلم . قال : ((مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فوقهم ، فقالوا لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ مَنْ فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)).(٢)

فى هذا الحديث الشريف يمثل النبى . صلى الله عليه وسلم . حالة صنفين من الناس : الأول . وهو القائم على حدود الله أى المحافظ عليها ، المنفذ لها ، الآمر بالمعروف ، الناهى عن المنكر ، والثانى . هو المفرّط فى تنفيذ ما أمر الله به ، بحالة قوم اقتسموا فى سفينة وتشاركوا فيها ، فكان بعضهم يسكن أعلاها، وبعضهم الآخر يسكن أسفلها ، فإذا أراد مَنْ بأسفل السفينة الشرب ، مروا على مَنْ فوقهم ، فتأذوا بذلك المرور ، فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا أسفل السفينة خرقاً ، فنشرب منه ، ولا نمرُّ على مَن فوقنا ، فلو تركوهم مَن فى الأعلى يحدثون هذا الخرق ، لغرقوا وغرق

---

(١) أبو هلال العسكري : " الصناعتين "ت / د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ، عام
١٩٨١م ، ص ٣٧٥.

(٢) صحيح البخاري: حديث رقم : ٢٣٦١ ، وانظر رقم : ٢٥٤٠.

الجميع ، وإذا منعوهم من خرقها والحفر فيها، نجوا ونجوا جميعاً . (١) وكذلك حال المجتمع الإسلامى الذى يمثله النبى . صلى الله عليه وسلم . بالسفينة ، والمتمسك بحدود الله فى المجتمع ، والآمر بالمعروف ، والناهى عن المنكر يمثله بحالة مَنْ فى أعلى السفينة ، والمفرط فى أداء حرمات الله أو يسقط فى المنكرات ، أو يأتى بشيء منها ، يمثله بحالة مَن فى أسفل السفينة ، فإذا ترك القائم على حدود الله . وهم أولى الأمر فى المجتمع . أولئك الذين يفسدون فى الأرض ، ويقطعون أوصالها ، عمَّ الفساد واستشرت المحرمات التى نهى عنها الله فى الإسلام ، فيهلك المجتمع بأسره ، وإذا شدُّوا على أيديهم ، ومنعوهم من هذا الفساد ، ولو بالقوة ، نجوا ونجوا جميعاً ، وازدهر المجتمع وصلح جميع أفراده ، فكان الخير والسلامة للجميع .

والمعنى المراد من التمثيل فى هذا الحديث يرتكز على تحذير ولاة الأمر ، والقائمين على أمور المسلمين من ترك المفسدين فى المجتمع ، وعدم تعقبهم ، وإنزال العقاب بهم ، فإن ذلك يودى بالمجتمع إلى الانهيار ، وانتشار الفوضى ، وضياع الأمن والاستقرار الذى دعا إليه الدين الإسلامي .

وبلاغة هذا التمثيل تكمن فى تشبيه حالة المجتمع محافظةً على حدود الله أو هتكاً لها ، بحالة قوم على سفينة ، اشتركوا فيها ، بعضهم عاقل ، وبعضهم متهور، فإن ترك العقلاءُ المتهورين ، يحفروا السفينة ، لجلب الماء ، لهلك الجميع ، وإن ضربوا على أيديهم نجا الجميع من الغرق ((وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها ، ولمن أقيمت عليه ، وإلا هلك العاصي بالمعصية ، والساكت بالرضا بها)).(٢) ووجه الشبه في هذا الحديث أمر معنوي وهى النجاة الحاصلة للإنسان في الدنيا والآخرة إذا اتَّبع ما أمر الله به ، أو الهلاك الحاصل له في الدنيا والآخرة إذا

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٥/٢٧٦وما بعدها .

(٢) ابن حجر العسقلاني : " المصدر السابق " ٥/٢٧٧.

خالف ما أمر به ، وهذا الوجه منتزع من عدة أمور ، وهى السفينة وتصارع القوم عليها حول ضرورة من ضرورات الحياة وهى شرب الماء ، وهيئة من يريد أن يخرق السفينة ، وهيئة من يضرب على أيديهم .

وتَتبدَّى روعة التصوير الفني في الحديث الشريف ؛ في تلك الصورة الكلية المتلاحمة الأجزاء والروافد والعناصر، تتنامى فيها الأحداث، وتتصاعد في وحدة عضوية، تتميز بأسلوب حواري قصصي، تستمد شخصياتها ومشاهدها وعناصرها من الواقع المحسوس . (١)

وسر بلاغة هذا التمثيل فى كونه نقلاً للنفس من العقليّ إلى الحسيّ ومن النظري إلى الضروري ، فتأثيره من ناحية تقوية المعنى وتوكيده فى النفس ، فتأنس به وتثق فيه ، وتطمئن إليه ، وذلك يرجع إلى أمرين : الأول . أن الحسي والضروري أقوى من العقلي والنظري، والثاني . أن العلم الحسي والضروري أسبق حصولاً فى النفس من العقلي والنظري، فهى لهما أشد ألفة ، وأقدم صحبة ، وهذا أدعى إلى قبولها ، وأُنس النفس موقوف على إخراجها من الخفى إلى الجلى ، ومن التلميح إلى التصريح .(٢) وهذا ما فعله النبى . صلى الله عليه وسلم . حين صور الأمور العقلية وهى المحافظة على حدود الله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك ، وكذا السقوط فى هوية الإفساد ، وهتك حدود الله ، بصورة أشياء حسية يدركها ذو

---

(١) انظر : د/ على على صبح :" التصوير النبوى للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف " المكتبة الأزهرية
القاهرة ، ط أولى ، عام ٢٠٠٢م ، ١٤٣/١.

(٢) انظر : عبد القاهر الجرجانى : " أسرار البلاغة " ص ١٢١، وما بعدها . وانظر : د / عبد العاطي علام : "من قضايا البلاغة العربية " مطبعة الأمانة ، مصر ، ط أولى ، عام ١٩٨٧م ،ص ١٥٦.

اللُب بسهولة ، وهى اشتراك العقلاء والسفهاء فى سفينة ، وإرادة السفهاء خرقها ، ومنع العقلاء لهم ، أو تركهم.

ومن بلاغة التمثيل . أيضاً . أنه صلى الله عليه وسلم . استخدم أسلوب الشرط في هذا الحديث ، وهو ((أسلوب لغوي قائم على ثلاثة أركان : أداة الشرط، ويليها فعل الشرط ثم جواب الشرط ، أو جزاؤه ، والركنان في جملة الشرط " الشرط والجواب" يكونان فعلين متلازمين في الأصل إنْ وقع أحدُهما وقع الآخر))(١) .

ولا يخفى أن الشرط عند النحاة هو وقوع أمر بناء على وقوع غيره ، فالعلاقة بين الشرط والجزاء علاقة سببية ، وقد جاء في الحديث من أدوات الشرط " إذا ، ولو ، وإن ، أما إذا فقد جاءت في قوله : ((فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم)) للدلالة على تحقق وقوع ما بعدها من الشرط والجواب ، فطلب الاستسقاء من الأمور التي لابد منها ، ومحققة الوقوع لا شك فيها .

ونلحظ في أسلوب الشرط بـ (إذا) في الحديث أنه جاء بفعل الشرط وجزائه فعلين ماضيين يدلان على كثرة طلب الاستسقاء ؛ لأنه من الحاجات الضرورية التى لا غنى عنها ، وبالتالي يكثر المرور له ، كما أن الماضي . كما يقول عبد القاهر . إذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلاً في المعنى .(٢)

وقال فخر الدين الرازي في التفريق بين عمل (إنْ) و(إذا) : ((قالوا كلمة (إنْ) فى المجوز ، و (إذا) فى المقطوع به ، تقول : إنْ دخلتِ الدار فأنتِ طالق لأن الدخول يجوز ، أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعاً لا تقول (إنْ) بل تقول (إذا) مثل

---

(١) ابن يعيش: موفق الدين علي " شرح المفصل ." بيروت :عالم الكتب ،الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، ٨/ ١٥٥.

(٢) انظر : عبدالقاهر الجرجانى :" دلائل الإعجاز " ص ٢٧٧.

إذا جاء غداً فأنت طالق ؛ لأنه يوجد لا محالة ، هذا هو الأصل ، فإن اشتمل على خلافه فمجاز)) ([1]) .

ومن شواهد (إذا) في القرآن الكريم : ((كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)) [سورة البقرة : ١٨١] فلا بُدَّ أنْ يحضر الموت ، وقوله تعالى: ((وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ ..)) [سورة الكهف : ١٧] ولا بُدَّ للشمس مِنْ أنْ تطلع ، فالشرط ب(إذا) يكون مع الكلام الذي تحققه واقع لا محالة .

أما حرف الشرط (لو) الذى يفيد امتناع وقوع الجزاء ، لامتناع وقوع الشرط ، وينبغى أن يكون الجزاء والشرط فعليين ماضيين .([2]) فقد جاء في قوله : " لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ مَنْ فوقنا " وقد خرج هذا الشرط عن معناه الأصلى إلى معنى التمنى ، تمنى السفهاء ، قليلي العقل في خرق السفينة ، أو إحداث الفساد فى المجتمع ، فهيهات ما يتحقق هذا التمني ، فالعقلاء أبداً لن يسمحوا لهم بالتخريب والفساد .

وقد حُذف جزاءُ الشرط هنا والتقدير: فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ مَنْ فوقنا (لكان أفضل) ؛ لدلالة بلاغية وهى أن الأمر جد خطير وعظيم ، وأنه لهوله وفظاعته لا يعبر عنه بلفظ ولا يدرك بالوصف ؛ لأنه لو حصل لهم خرق السفينة و تحققت أمنيتهم ، لعمَّ الهلاكُ كلَّ مَنْ عليها .

---

(٣) الرازي : فخر الدين محمد بن عمر :" مفاتيح الغيب " ط / دار الغد العربي : ١٦ / ٥٧٨.

(١) انظر : ابن هشام الأنصاري : " شرح شذور الذهب " ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر الأزهرالشريف ، ٤٧/٤ وما بعدها ، وانظر : السكاكي :" المصدر السابق " ص ٢٤٦.

ونلحظ في الشرط بعد لو أنه جاء بجملتين بمثابة جملة واحدة شرطية ، وهما : أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، على تقدير فعل محذوف بعد لو تقديره : ثبت أو حصل فيكون التقدير : لو حصل أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، والثانية : لم نؤذ مَنْ فوقنا ، وقد وصل بينهما بحرف العطف الواو ؛ لاتفاق الجملتين في الفعلية ، ووجود التناسب التام بينهما بحيث يتولد من اجتماعهما معنى واحد ، يجعل الجملتين جملة واحدة ، ويمكن أن نلمح التناسب في التقابل الخفي بينهما ، فالأولى معناها حصول الخرق في السفينة ، وهذا فيه إيذاء ، والجملة الثانية معناها نفى الإيذاء ، وهذا ما يسمى بالتقابل الخفي ، أو غير المباشر، وهو ((الذى يقوم على عدم الالتزام بالتطابق المعجمي بين لفظين ، إنما يطابق بين المعانى التى تدخل في إطارين متضادين)) (١). وهو ما يجعل بينهما مشاركة تجعل الجملتين في مقام معنى واحد ، أو يدخلان في معنى ، وقد وضَّح عبد القاهر سبب الوصل في مثل ذلك في قوله : ((وجملة حالها مع التى قبلها حال الاسم يكون غير الذى قبله إلا أنه يشاركه في حُكم ويدخل معه في معنى))(٢).

أما (إنْ) فهى تستخدم في المشكوك فيه ، غير المجزوم في وقوعه ، وجاء الشرط بها في الحديث في موضعين : الأول . مع المضارع ، فقال : إنْ يتركوهم ، للدلالة على الشك ، وعدم الجزم فى أن العقلاء . أى مَنْ فى أعلى السفينة ، أو القائمين على حدود الله . سيتركون السفهاء . أى مَنْ فى أسفل السفينة ، أو المفسدين فى الأرض . يحدثوا خرقاً فيها أو نشر فسادهم فى المجتمع، فهذا الفعل نادر الوقوع

---

(١) انظر : د/ منير سلطان :" البديع في شعر شوقي " منشأة المعارف بالأسكندرية ، ط ثانية،عام ١٩٩٢م ،ص ٢٦٠ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني :" دلائل الإعجاز " ص ٢٤٣.

على أرض الواقع ، وهذا الموضع هو أصل في استخدام إنْ الشرطية مع المضارع ، فهى تدل بحسب الوضع على عدم قطع المتكلم بوقوع الشرط فى المستقبل .([1])

وفى أسلوب الشرط " فإنْ يتركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعاً " نجد جملتين قد عطفت إحداهما على الأخرى ، ثم جعلتا بمجموعهما شرطاً ، وهما " يتركوهم وما أرادوا " فالشرط كما يقول عبد القاهر : ((لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ولا في واحدة دون الأخرى ، لأنا إن قلنا إنه في كل واحدة منهما على الانفراد ، جعلناهما شرطين ، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين ، وليس معنا إلا جزاءٌ واحد ، وإن قلنا : إنه في واحدة منهما دون الأخرى، لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط ، وذلك ما لا يخفى فساده))([2]).

وعن طريق المعنى نجد أن عبد القاهر الجرجاني يرى أن الجزاء يتعلق إيجابه لمجموع ما حصل من جملتي الشرط ، فليس هو لواحدة دون الأخرى ([3]) . وبناء على ذلك فإن الجزاء في هذا الأسلوب وهو هلاك الجميع أمر يتعلق إيجابه لمجموع ما حصل من الجملتين ، فليس هو لتركهم يخرقوا السفينة على الانفراد ، ولا لما أرادوا على الإطلاق ، بل لتركهم وإرادتهم خرق السفينة ، فإن تركوهم يخرقوها ، تحقق الجزاء وهو الهلاك للجميع .

ولأن جملتي الشرط جملة واحدة في المعنى ، فقد عطف بينهما لاشتراكما في معنى واحد وحكم واحد ، وقد فصلت جملة الجزاء (هلكوا جميعاً) عن جملة الشرط قبلها ؛ لأمر كما قال عبد القاهر الجرجاني :" يوجب الاستئناف ، وترك العطف ، وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تحرِّكَ السامعين ؛ لأن يعلموا مصير

---

(٣) انظر : د/ عباس حسن : " النحو الوافي " دار المعارف بمصر ، ط سادسة ، ٤٣٢/٤.

(١) عبد القاهر الجرجانى :" دلائل الإعجاز " ص ٢٤٦.

(٢) انظر : عبد القاهر الجرجانى :" المصدر السابق " ص ٢٤٦.

أمرهم)) ([1]). ولأنها . كما قال البلاغيون . جملة يجاب بها عن سؤال ينشأ من جملة سابقة ، و يسمى هذا الفصل استئنافا ، واشتهر بالاستئناف البياني ، والاستئناف النحوي أعم منه . ([2]) فلما حكي عمن هم في أسفل السفينة أنهم أرادوا أن يخرقوها ، كان ذلك مما يحرك السامع ؛ لأن يسأل ، فيقول : وماذا يكون الأمر إنْ تركوهم يخرقوها ؟ فأجيب : هلكوا جميعاً .

وأما الموضع الثاني . فى استخدام (إنْ الشرطية) فكان مع الفعل الماضي فى قوله : " وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً " فالأصل فى التعبير أنَّ " إنْ الشرطية " يأتى بعدها الفعل فى المضارع ، ولكن الرسول . صلى الله عليه وسلم . استخدم الماضي فى هذا التعبير ، فقال " وإنْ أخذُوا على أيديهم " بدلاً من التعبير بالمضارع " يأخذوا " وفى ذلك بلاغة عالية ، فالماضي يشعر بأنَّ الأخذ مؤكد الوقوع مثلها فى تحقق وقوعه فى المستقبل مثل حوادث الماضي التي قد حدثت بالفعل ، وأصبحت حقائق ثابتة الحدوث ، وليس من شك في أن هذا الفعل محقق الوقوع ؛ لصدوره عن العقلاء أو القائمين على حدود الله وتنفيذها بكل حذافيرها ، فلم يكن

---

(٣) عبد القاهر الجرجانى :" المصدر السابق " ص ٢٣٥.

(٤) د / عبد الرازق أبو زيد : " علم المعانى بين النظرية والتطبيق " مكتبة الشباب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،عام ١٩٩٦م ، ص١٥٤ . والجملة الاستئنافية : هى الواقعة فى افتتاح النطق نحو : زيد قارئ ، أو بعد انتهاء الكلام جواباً عن سؤال مقدر نحو : " اكرم زيد إنه عالم " أو غير جواب نحو : جاء الحق وزهق الباطل إن
الباطل كان زهوقاً ، وأهل البيان يخصون اسم الاستئنافية بالواقعة جواباً ، انظر: المرصفي : الوسيلة الأدبية : ٢٠٨/١ .

عجزاً أن يُترك المضارع إلى الماضي إلا لهذا الأمر ، وهو التنبيه على حدوثه ، كما لو أنه وقع بالفعل .

وليس من شكٍ في أنَّ الأخذ على أيدي السفهاء والمفسدين فى المجتمع فيه ما فيه من زرع مهابة القائمين على حدود الله فى نفوس الواقعين فى ارتكاب المحرمات .

ومن بلاغة أسلوب الشرط هنا أنه فصل بين جملة الجزاء (نجوا) وجملة الشرط (أخذوا على أيديهم) للاستئناف البياني ؛ إذ لا يخفى على عاقل أنه جاء على معنى الجواب ؛ فالثانية جواب عن سؤال ناشئ عن الأولى ، تحركَ فى ذهن السامع أن يسأله فيقول : " فما قولك إن ضربوا على أيديهم ؟ وما جوابك عنه ؟ فكان جوابه عن السؤال المقدر ، أن قال : نجوا. ثم عطف (نجوا جميعاً) على جزاء الشرط (نجوا) لاتفاق الجملتين فى الفعلية ، ووجود التناسب بينهما ، بحيث يتولد من اجتماعهما معنى واحد ، يجعل الجملتين جملة واحدة ، وهى الفرح بالنجاة للجميع ، كما أن المسند إليه في الجملتين واحد وهو واو الجماعة الذي يعود على مَنْ في السفينة ، والمسند في الجملتين الفعل (نجا) وهو متماثل ، فالجامع بينهما يدرك بلا واسطة وهم ولا خيال ، كالجمع بين المتماثلات والمتضايفات ، ويسمى الجامع العقلي ؛ لأن العقل هو الذي يحكم بحسن الجمع بينهما . (١)

والمعنى : أن نجاة جميع مَنْ في السفينة ، يتوقف على نجاة مَن في أسفلها ، بعدم خرقهم لها ، ونجاتهم يكون بسبب تحقق الشرط وهو ضرب مَن في أعلى السفينة على أيديهم وفى ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني فى العطف على جواب الشرط بشيء بالواو، أنه يكون على ضربين: . الضرب الثاني هو مناط الاستشهاد هنا . ((أحدهما : أن يكونا شيئين يُتصور وجود كل واحد منهما دون الآخر ، ومثاله قولك :

---

(١) حسين المرصفي : " الوسيلة الأدبية " ٤٦/٢ .

إن تأتني أكرمك أعطك وأكْسُكَ ، والثاني : أن يكون المعطوف شيئاً لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ، ويكون الشرط لذلك سبباً فيه بوساطة كونه سبباً في الأول ، ومثاله قولك : إذا رجع الأمير إلى الدار استأذنته وخرجت " فالخروج لا يكون حتى يكون الاستئذان ، وقد صار الرجوع سبباً في الخروج من أجل كونه سبباً في الاستئذان ، فيكون المعنى في مثل هذا على كلامين نحو : " إذا رجع الأمير استأذنتُ وإذا استأذنتُ خرجت)) ([1])

وعطف أسلوب الشرط الثاني على أسلوب الشرط الأول للاتفاق في الإنشائية، ولوجود المناسبة بينهما ، وهى التضاد في المعنى ، فالأول على تركهم وما أرادوا من خرق السفينة ، فيهلكوا جميعاً ، والثانية على الشَّد على أيديهم ومنعهم من خرقها ، فينجوا جميعاً .

وتتجلى بلاغة التمثيل هنا فى استخدام الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأسلوب المقابلة بين القائمين على حدود الله ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، وبين الواقعين فى حدود الله ، المقترفين لها ، المفرِّطين فى أدائها ، وكذلك بين مَنْ هم فى أعلى السفينة ، وبين مَنْ هم فى أسفلها ، فهذا الأسلوب يبرز فى جلاء جمال التمثيل ، ويقرب المعنى فى ذهن المتلقي ، وهو تحذير أُوْلى الأمر من التهاون فى إنزال العِقاب على العُصاة ، الذين يخالفون شرع الله ، وإلا لوقع العذاب على العامة بذنب الخاصة .

الحديث الرابع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال :((إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بَنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع

---

(٢) عبد القاهر الجرجاني :" دلائل الإعجاز " ص ٢٣٣.

لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين))."(١)

فى هذا الحديث يمثل النبى . صلى الله عليه وسلم . حاله مع الأنبياء المرسلين السابقين . عليهم السلام . وما بعثوا به إلى أممهم من إرشاد الناس ببيت بناه رجل ، فأحسن بناءه وعمارته حتى بلغ الغاية من الحسن والجمال إلا موضع حجر فى زاوية منه ، به يتم صلاح ذلك البيت (٢) ، فأخذ الناس يلتفون حوله ، معجبين به ، ويقولون لولا هذه اللبنة ، إذا وضعت ، يتم البناء بها أقصى غايات الجمال ، والزينة ، ويكتمل حسنه ، فشبه النبى . صلى الله عليه وسلم . وما جاء به من الهدى والنبوة الخاتمة بهذا الحجر الذى يكتمل به هذا البنيان .

ووجه الشبه فى هذا التمثيل يدرك من الهيئة الحاصلة من اكتمال الرسالات السماوية واختتامها بالنبى محمد . صلى الله عليه وسلم . ورسالته التى جاءت آخر الرسالات ، فكانت متممة لها ، وموضحة لما فيها من شرائع وهدى لما فى ذلك من خير للعباد فى دنياهم وأخراهم ، ومن ثمَّ كانت رسالته للعالمين كافة ، وأصبحت حجة على الناس جميعاً فى كل مكان وزمان إلى يوم القيامة . وهذا الوجه عقلى . كما هو واضح . ويحصل من عدة جمل لا من جملة واحدة حتى إن بعض البلاغيين قال : ((إنَّ التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجمل أكثر))."(٣)

ولما كان وجه الشبه عقلياً يفتقر إلى إعمال فكر وتأمل ، لجأ النبى . صلى الله عليه وسلم . إلى توضيح المغزى من التمثيل وهو اختتام الرسالات السماوية برسالة

---

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ٣٣٤٢.

(٢) انظر : ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٥٠٨/٦.

(١) عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة " ص ١٠٨.

الإسلام التى جاءت للعالمين كافة على خلاف الرسالات السابقة التى كانت تنزل كل رسالة إلى أمة من الأمم فحسب عن طريق تمثيل ذلك بشيء مادي ملموس ، وهو آخر لبنة توضع فى البناء ؛ ليظهر فى أحسن صور الجمال والزينة ، ومن ثمَّ ندرك بلاغة التمثيل فى إظهار العقلي فى صورة حسية حتى تكون ظاهرة للعيان ، لا ينكرها أحد ، ولا يشك فيها شاك ، يقول الإمام عبد القاهر : (إذا وقع المعنى فى نفسك غير ممثَّل ثم مثَّلته كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب)(١).

وهذا الكلام يتطابق مع صنيع الرسول . صلى الله عليه وسلم . فى هذا التمثيل .

ومن بلاغة التمثيل فى هذا الحديث تصديره بالمثل لتقريبه من الأفهام ، وتأكيده بإن والجملة الاسمية للدلالة على ثبوت المعنى واستقراره فى نفس المتلقي ؛ لأن الحديث هنا عن شيء قد تم واستقر ، فلا تغيير له ولا تجدد فيه ، فالمعنى المراد من الحديث . كما يقول ابن حجر العسقلانى . هو تفضيل النبى . صلى الله عليه وسلم . على سائر النبيين ، وأن الله ختم به المرسلين ، وأتم برسالته شرائع الدين ، ولا يعنى هذا أن رسالات الأنبياء السابقين ناقصة ، فهذا يتنافى مع دين الله ، فإن شريعة كل نبى بالنسبة إليه كاملة ، وإنما المراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة . (٢) فرسالة النبى محمد . صلى الله عليه وسلم جاءت جامعة لكل الشرائع السابقة ، ومزينة لبنائها كما يزين آخر حجر فى زاوية من البيتِ البيتَ كله .

الحديث الخامس:

---

(٢) عبد القاهر الجرجاني : " المصدر السابق " ص ١٢٢.

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٥٠٩/٦.

عن أبـى موسـى الأشعرى (رضـى الله عنـه) أن رسول الله . صـلى الله عليـه وسلم . قال : ((مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجـة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريحَ لها وطعمها حلو ، ومثل المنـافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانـة ريحُها طيب وطعمها مرٌّ ، ومثل المنـافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌ)) .([1])

هذا الحديث يتناول تشبيه حال المؤمن وحال المنافق تشبيهاً تمثيلياً ، فالمؤمن يكون فى حالين : حال قراءته للقرآن والعمل به ، وحال عدم قراءته ولكنه يستمع له ، ويلتزم بإيمانه بالله . وأما المنافق يكون فى حالين . أيضاً . حال قراءته للقرآن ، وحال عدم قراءته له .

فالنبى . صلى الله عليه وسلم . يشبه المؤمن الذى يقرأ القرآن ، ويعمل به بثمرة الأترجة ، وهى فاكهة ذات طعم طيب ، وريح طيب ، ويشبه المؤمن الذي لا يقرأ بالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ويشبه المنافق الذى يقرأ القرآن بالريحانة ، ريحها طيب ولا طعم لها ، ويشبه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة طعمها مر، وليس لها ريح . ([2])

فهذه أربعة تشبيهات تمثيلية ، فما وجه الشبه فيها ؟ إن وجه الشبه يكون في المشبه به أقوى وأمكن منه في المشبه حتى يمكن أن نلحق المشبه بالمشبه به في هذا الوجه ، وهى في التشبيهات التمثيلية الأربعة الموجودة في هذا الحديث تدرك على النحو التالي : في تشبيه المؤمن بالأترجة في صفة الطعم والرائحة ؛ لأنه يقرأ ويعمل

---

(٢) صحيح البخاري : حديث رقم : ٤٧٣٢.

(٣) انظر :د/ فضل حسن عباس :" البلاغة فنونها وأفنانها : علم البيان والبديع " دار الفرقان ، الأردن ، الطبعة
الحادية عشرة ، عام ٢٠٠٦م ، ص ١١٢.

؛ فوجه الشبه هنا منتزع من متعدد ، ولكن الذى يثير انتباهنا أن الحديث جعل الطعم وجه شبه للعمل ، وجاءت الرائحة وجه شبه للقراءة ، فالمؤمن الذي يقرأ يشبه بالأترجة في ريحها ، والمؤمن الذي يعمل شبه بها في طعمها ، وقد خصَّ ((الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التى تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة ؛ لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح الخاصية ويستخرج من حبها دهن له منافع ، وقيل : إن الجن لا تقرب البيت الذى فيه الأترج ، فناسب أن يمثَّل به القرآن الذى لا تقربه الشياطين)) .(١)

فالأترجة من الخارج الظاهر ذات شكل ذهبى اللون ، لها رائحة عطرة ، وهى من الداخل حين يستطعمها الإنسان يجد لها طعماً حلواً مستطاباً ، وهذا مثل محسوس ، وقد ضربه النبى . صلى الله عليه وسلم . لنا ليقرب لأذهاننا الفائدة التى تستفاد من قراءة المؤمن للقرآن ، فالمؤمن يفيد من تلاوة القرآن بأن يكون سلوكه حسناً وتصرفاته مقبولة ، فظاهر المؤمن مثل الرائحة العطرة لثمرة الأترجة، وقلبه الذى تأثر بهداية القرآن مثل قلب الأترجة .

والمراد من التمثيل هنا هو التنبيه على ارتفاع شأن المؤمن . قارئ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه لا مطلق التلاوة . سلوكاً وعملاً ، قلباً وقالباً ، شكلاً ومضموناً .

أما وجه الشبه في تشبيه المؤمن الذي لا يعمل و لا يقرأ القرآن بالتمر من حيث الطعم الطيب ، ولا رائحة له ، فوجه الشبه منتزع من مجموع أمرين : طعم التمر ورائحته . فالمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ، باطنه حسن ، نقى السريرة ، صافى النفس ، لكن ظاهره يلفت النظر حيث إن سلوكه متلائم مع هدى القرآن وإن لم يقرأه ، ومن ثمَّ حسن تشبيهه .

---

(١) ابن حجر العسقلاني :" فتح الباري " ٦٧/٩.

أما وجه الشبه في تشبيه المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة فهو ليس شيئاً واحداً ، وإنما هو صورة منتزعة من متعدد أمرين : الطعم المر للريحانة ، والريح الطيب لها ، فهى صورة مَنْ يجهد نفسه في القراءة ولا طائل له من ورائها ؛ لأن ظاهره على تناقضٍ مع باطنه ، فهو أمام الناس مسلم يقرأ القرآن ، ولسانه يردد ذكر الله ، يرائى الناس ويخدعهم . قال تعالى فى صفة المنافقين :((يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ))(١) . لأن باطنه وحقيقة أمره خبيث يخفى الكفر والضلال .

ولعل فى تشبيه المنافق الذى يقرأ القرآن رياءً بالريحانة فيه من البلاغة ما فيه ؛ إذ القرآن قد جعل المنافق يراعى سلوكه أمام الناس ، فكان مثل الريحانة فى رائحتها العطرة ، أما باطنه فهو الكفر الذى يخفيه ، فكان مثل الريحانة فى طعمها المُرّ غير المستساغ .

أما وجه الشبه في تشبيه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة ، فهو ليس شيئاً واحداً ، وإنما هو صورة منتزعة من متعدد أمرين : طعم الحنظلة المر ، وريحها الخبيث ، فهى صورة شخص خبيث النَّفْس ، وخبيث النَّفَس معاً ، فهو كثمرة الحنظلة رائحتها الخارجية كريهة وطعمها الداخلي مر .

وتكمن بلاغة هذا الحديث في عدة وجوه :

أولاً : وقوع التمثيل فى صدر الكلام وهذا يؤدى إلى بعث المعنى إلى النفس

---

(١) سورة البقرة :الآيتان : ٩ ، ١٠

بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان .([1]) فالحديث الشريف يقرر المعنى فى نفس القارئ فى وضوح وجلاء تامين ، وهذا المعنى هو ارتفاع شأن المؤمن ، والحط من شأن المنافق . وفى رواية الفاجر . ولعل لفظ المنافق أوضح دلالة من الفاجر ؛ لأن المنافق يظهر الإيمان وفى حقيقة أمره يبطن الكفر والفسوق ، والفجور ، فهو يخدع الناس بقراءته للقرآن ، أما الفاجر وهو الفاسق فغير مكترث ، فلا يظهر خلاف ما يبطن ، وإنما ظاهره وباطنه واحد ، يمضى فى اقتراف المعاصي علناً دون إخفاء لها ، فحقيقة أمره فى السِّر والعلن هى الفسوق والخروج عن طاعة الله ، فهو لا يهتم أصلاً بقراءة القرآن ، ومن ثَمَّ تظهر بلاغة الحديث فى انتقاء الألفاظ الدالة على المعنى بوضوح دون خفاء .

ثانياً : تمثيل حالتى المؤمن والمنافق بأشياء محسوسة تدل على تلك الحالة ، وقد اختار النبى . صلى الله عليه وسلم . الممثَّل به . نوع الثمر . بعناية ؛ لتوافق حالته حالة الممثَّل شكلاً وجوهراً ، وهذا يؤدى إلى تمكين القارئ من فهم المعنى المراد من الحديث بيسر وسهولة ، وهو هنا . كما قلت . الارتفاع بشأن المؤمن حامل القرآن ، والحط من شأن المنافق .

ثالثاً : استخدام النبى . صلى الله عليه وسلم . للاسم ، الذى يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ([2]). ومنه فى الحديث الشريف قوله . صلى الله عليه وسلم في معرض مدح المؤمن " مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب " فغرضه إثبات الرائحة الطيبة لقارئ القرآن من غير أن يجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً بعد شيء ، وكذلك فى معرض الذم للمنافق

---

(٢) انظر: عبد المتعال الصعيدي" البلاغة العالية:علم البيان "مكتبة الآداب، القاهرة ، ط أولى، ٢٠٠٠م ص ٥١.

(١) انظر : عبد القاهر الجرجاني : " دلائل الإعجاز " ، ص ١٧٤.

فقال : " مثل المنـافق الـذى يقـرأ القـرآن أو الـذى لا يقـرأ القـرآن ..." فغرضـه إثبـات الرائحة له أو نفيها عنه من غير أن يجعل ذلك يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً .

وقد استخدم النبى . صلى الله عليه وسلم . أيضاً . الفعل الذي يقتضـي تَجدُّدَ المعنى المثبتِ به شيئاً بعد شيء (١) ، فقال: يقرأ القرآن . لا يقرأ القرآن ، للدلالـة علـى تجدد القراءة ، وأن هذا يحدث منه مرة بعد أخرى .

رابعاً : استخدام النبى . صلى الله عليه وسلم . للمطابقة ، وهو لون بلاغى وظفه لخدمة غرضه من هذا الحديث . وهو كما قلت آنفاً . إعلاء شأن المؤمن والحط من قدر المنافق ، والمطابقة ((أصلها وضع الرِّجْل فى موضع اليد فى مشى ذوات الأربع)) (٢) .

وفى اصطلاح البلاغيين هى الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أم الإيجاب والسلب (٣).

ويدخل فى المطابقة ما يخص المقابلة وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل(٤).

وبالنظر فى هذا الحديث نجد أن النبى . صلى الله عليه وسلم . قد استخدم الطباق المباشر ، وليس معنى ذلك أنه كان استدعاءً لغوياً بسيطاً للألفاظ ، وإنما وظف الطباق المباشر فاستخدم المفردات المتضادة بالإيجاب وكذا بالسلب لإبراز المعنى

---

(١) انظر : عبد القاهر الجرجانى : " دلائل الإعجاز " ص ١٧٥.

(٢) ابن رشيق القيروانـي : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه " ت / محمد محـي الدين عبد الحميد ، دار الجبل بيروت ، لبنان ، د ت ، ٢/ ٦

(٣) انظر د / عبد العاطى علام : من قضايا البلاغة العربية " : ص ٢١٦.

(٤) الخطيب القزوينى : " الإيضاح فى علوم البلاغة " : ص ٣٨٨.

التمثيلي في الحديث ، فمن تضاد الإيجاب (المؤمن والمنافق) و (طيب ، ومر) واستخدم الطباق بالسلب فقال (يقرأ ، ولا يقرأ) و (لها ريحٌ طيب . وليس لها ريح) ومن مجموع هذه المفردات المتطابقة كوَّن النبى . صلى الله عليه وسلم . جملاً متقابلة ، وقد وظفها توظيفاً رائعاً يدل على بلاغة عالية ، فقابل بين: المؤمن الذى يقرأ القرآن ... وبين : المؤمن الذى لا يقرأ القرآن ....، وقابل بين : المنافق الذى يقرأ القرآن ... و بين المنافق الذى لا يقرأ القرآن ، وقد أراد بها بيان حال الممثِّل ، والممثَّل به ؛ لتقريب صورة المعنوي في صورة حسية ملموسة تؤثر في نفس المتلقي .

ومن جمال الطباق والمقابلة هنا كذلك إبراز المعنى فى صورة جلية واضحة ، وبيان لحقيقة المؤمن وحقيقة المنافق ، وما يتسم به كل منهما ، و . أيضاً . فيه توضيح لفضل القرآن فى سلوك قارئه وإن كان منافقاً ، وفيه . أيضاً . بيان لأثر القرآن فى جوهر قارئه ومتدبر معانيه.

الحديث السادس :

عن عبدالله بن عمر . رضى الله عنهما . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ ؛ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)) .(١)

مثّل النبي . صلى الله عليه وسلم . في هذا الحديث مدارسة القرآن والمداومة على حفظه وتلاوته بربط البعير بالحبال المشدودة المبرمة خشية أن تشرد وتفرَّ ، فإذا استمر صاحب القرآن على تفقده ورعايته ، فالحفظ ثابت موجود ، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالحبال يبقى محفوظاً ((فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه تفلت القرآن

---

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ٤٧٤٣.

وذهابه من الصدر ما لم يحادث بالتلاوة ويتعهد بالقراءة، بتفلت النعم المعقلة من عقلها، إذا لم يستظهر بإحكام عقلها)) ([1]) .

ووجه الشبه في هذا التمثيل ليس شيئاً مفرداً ، ولكنه صورة منتزعة من متعدد ، وهى صورة وجود شيء في حالة حركة وسكون ، إن تعهده الإنسان بالرعاية سكن عنده وحافظ عليه من التحرك والضياع ، وإن أهمله انفلت منه وتحرك بعيداً عنه ، ولم يحافظ عليه من الضياع ، وهذه الصورة مأخوذة من صورة البعير في حالة ربطه ربطاً محكماً بالحبال المفتولة ، أو تركه بدون رباط أصلاً .

ومِن ثمَّ فقد أمرنا النبى . صلى الله عليه وسلم . بدرس القرآن وتعهده بالحفظ والقراءة وتدبر معانيه ((فإن الذى يداوم على ذلك يذلّ له لسانه ، ويسهل عليه قراءته ، فإذ هجره ثقلت عليه القراءة ، وشقت عليه)).([2])

فأمره لنا باستذكار القرآن ؛ لأنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النِّعم بعقلها ، وقد لجأ النبى . صلى الله عليه وسلم . إلى بيان ذلك وتوضيحه عن طريق التمثيل ، فقد مثل حالة صاحب القرآن بحالة صاحب الإبل ، إن عاهد عليها وربطها في قيدها ، حافظ عليها من الانفلات والتوغل فى طريق بعيدة ، فلا يستطيع إدراكها ، أما إذا غفلها ، فلم يربطها فى عقالها ، فلم يحافظ عليها من الهرب أو الذهاب فى طريق بعيدة فلا يستطيع إمساكها ، وكذلك صاحب القرآن إذا دوام على تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، وفى سائر عباداته استطاع المحافظة عليه من النسيان ، أما إذا غفله وشُغل عنه ، فلم يقرأه ، ولم يتدبر معانيه ، فإنه ينساه ، وينفلت من ، ويزداد نسيانه كلما طال بعده عنه ، بل يصعب تذكره ، واسترجاع حفظه .

---

(٢) الشريف الرضي :" المجازات النبوية " ت . د / طه محمد الزيني ، مكتبة بصيرتي القاهرة ، دت ، ص ٢٣٧.

(١) ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٨٠/٩.

وبلاغة هذا التمثيل تكمن فى ضرب النبى . صلى الله عليه وسلم . المثل المحسوس الممثَّل به وهو ربط البعير خشية الشراد ، للممثَّل وهو درس القرآن واستمرار تلاوته ، فيصور لنا العقلي فى صورة حسية لتقريرها فى الأذهان ، فالصورة الثانية بمثابة الحجة والبرهان على صدق الصورة الأولى ، فمن ((أسباب تأثير التمثيل نقله النفس من العقلي إلى الحسي ، ومن النظري إلى الضروري)) (١) .

وبغية الرسول من هذا التمثيل هو تنبيه الغافلين عن تلاوة القرآن ، بلفت أنظارهم إلى وجوب استذكاره وحفظه من النسيان ، وإدامة النظر فيه بتلاوته وتدبره ، فالحفظ موجود كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ ، والنسيان للقرآن يحل ، كما أن شرود البعير يحل كلما أهمل وثاقه ((وقد خص الإبل بالذكر ؛ لأنها أشد الحيوان الإنسىّ نفوراً ، وفى تحصيلها بَعْد استمكان نفورهاصعوبة)).(٢) ونلاحظ أن هذا المثل مأخوذ من البيئة المعيشة لحياة النبى (صلى الله عليه وسلم) وصحابته رضوان الله عليهم .

ومن بلاغة هذا التمثيل استخدام (إنْ الشرطية) مع الفعل الماضي فى قوله : " إنْ عاهد عليها أمسكها ، وإنْ أطلقَها ذهبتْ " فالأصل فى التعبير أن "إن" الشرطية يأتى بعدها الفعل فى المضارع ، ولكن الرسول . صلى الله عليه وسلم . استخدم الماضي فى هذا التعبير ، بدلاً من التعبير بالمضارع (إنْ يعاهد عليها يمسكها ، وإنْ يطلقها تذهب) وذلك من البلاغة العالية ، فالماضي يشعر بأن المعاهدة مؤكدة الوقوع

---

(٢) د/ عبد الله علي محمد حسن :" البحث البلاغي ومراحل تطوره " مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط أولى ، عام ١٩٩٢م/ ، ص ١٠٤.

(١) ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٨١/٩.

مثلها فى تحقق وقوعها فى المستقبل مثل حوادث الماضي التى قد حدثت بالفعل ، وأصبحت حقائق ثابتة الحدوث .

ومن ثمَّ فقد قال فى جزاء الشرط أمسكها بالماضي . أيضاً . فهى محققة الوقوع ومترتبة على فعل الشرط ، وفى حالة إغفال الإبل وعدم شد وثاقها قال : " إنْ أطلقها ذهبتْ " باستخدام الماضى مع إنْ الشرطية على خلاف الأصل فى استعمالها ، للدلالة على تحقق وقوعه ، كما أن الجزاء مترتب على الشرط ، ولذا قال ذهبتْ ، أى انفلتَتْ ، وليس عيَّاً منه أن يترك المضارع إلى الماضي إلا لهذا الأمر ، وهو التنبيه على حدوثه ، كما لو أنه وقع بالفعل ، والماضي يطلب مع (إنْ الشرطية) في المسائل العظيمة ؛ ولأن المحافظة على القرآن من النسيان بتلاوته من الأمور العظيمة في الإسلام ، كان التعبير عن ذلك بأسلوب الشرط الذي يلفت انتباه المسلم إليها ، فأسلوب الشرط له دور فاعل في بيان التمثيل في الحديث ؛ لأن وقوع الجزاء مترتب على وقوع الشرط ، ولذلك قال : (إن عاهد عليها أمسكها) فالمحافظة على القرآن تقع برعايته ، وتشبَّه بالمحافظة على البعير بربطه ، وعدم حفظ القرآن بعدم تعهده ورعايته تشبَّه بعدم الحفاظ على البعير بإطلاقها وعدم قيدها في قوله : (إن أطلقها ذهبت) .

والذى زاد من بلاغة هذا التمثيل استخدام المفردات المتضادة (عاهد ، أطلقها) وبين (أمسكها ، ذهبت) ومن خلال هذه المفردات كوَّن المقابلة بين أسلوبي الشرط الذى تتصدرهما الأداة (إنْ) ونلحظ توظيف الطباق في الحديث لبيان دوره داخل التركيب الشرطي في توضيح الصورة التمثيلية التى توضح المعنى المعنوي ، وتثبته فى ذهن المتلقي .

ومن بلاغة التمثيل هنا الوصل بين الجملتين (إنْ عاهدَ عليها أمسكَها وإنْ أطلقها ذهبتْ) حيث يتولد من اجتماعهما معنى واحد يجعل الجملتين جملة واحدة

وبينهما مناسبة بالمخالفة ، وهذه المناسبة أو الجامع بين الجملتين خاص غير اتفاقهما في الغرض العام الذي يساق له الكلام (١) .

والتمثيل هنا قد اشتمل على جملتين متحدتين خبراً متناسبتين فى المعنى ، ولا يوجد مانع من العطف ، ولذا وجب الوصل ؛ إذ الغرض إبراز أهمية المحافظة على القرآن من النسيان والانفلات من الصدور كما تنفلت الإبل التى لا يحكم وثاقها، والمناسبة بين الجملتين يدركها العقل السليم الذي يجمع بين الأشياء المتضادة فى الفكر ، وهذه المناسبة هى التى سوغت عطف الجملة الثانية على الأولى .

الحديث السابع :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : ((مثلُ المؤمن كمثلِ الخامة مِنْ الزرع مِنْ حيثُ أتتها الريحُ كفأتها ، فإذا اعتدلتْ تكفأ بالبلاء ، والفاجرُ كالأزرة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء)).(٢)

وفى هذا الحديث الشريف يمثل النبى . صلى الله عليه وسلم . حال المؤمن وحال الفاجر . فى تعرُّض كل منهما للمحن والاختبارات الدنيوية بحال الزرع الغض الرطب والشجرة الصلبة ، فمثَّل حال المؤمن بحال النبتة الغضة الرطبة التى إذا أصابتها الريح كفأتها ، أى قلبتها على وجوهها يميناً ويساراً، وتحركها إلى أسفل مرة وإلى أعلى مرة أخرى ، وهكذا حتى تنتهي بالهلاك أو الحصاد ، وكذلك حال المؤمن يتعرض فى حياته لأنواع شتى من المحن والابتلاءات سواء أكانت فى جسده أم فى ماله أم فى أهله ، فالمؤمن فى حال مرضه وصحته فهو فى حال اختبار ، وفى حال

---

(١) انظر : حسين المرصفي : " الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية " طبع المدارس الملكية بالقاهرة ، ط أولى ،عام ١٢٩٢هـ، ٤٦/٢.

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ٥٣٢٠.

غنائه أو فقره فهو فى حال اختبار، وفى حال تمتعه بأهله ، أو فقد أحد منهم فهو فى حال اختبار ، وينظر فى ذلك أيصبر ويشكر ربه ؟ أم يكفر ويجزع ؟ .

ولك أن تدرك وجه الشبه فى تمثيل المؤمن بالزرع الغض الرطب فى مدى النفع الحاصل من كليهما ، فالزرع ينتفع به فى الإطعام بعد حصاده ، وكذلك المؤمن ينتفع به بعد موته ، فقد يترك صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، فينتفع هو أولاً باستمرار عمله بعد موته ، وينتفع الناس بما خلَفَ مِنْ أثر ، أو حتى ينتفعون بسيرته العطرة ، ولذلك مُثِّل بالخامة من الزرع التى تنتج كثيراً من الزروع ينتفع بها .

وفى التمثيل الثاني : نجده . صلى الله عليه وسلم . يمثل حال الفاجر بحال شجرة الأرزة وهى شجرة صلبة عظيمة من الفصيلة الصنوبرية ، فهذه الشجرة الصلبة لا تستطيع الريح أن تحركها من مكانها أو تزحزحها عن ثباتها ، مادامت غير مقطوعة ؛ لأنها تقاوم المؤثرات المناخية الشديدة ، ولكن إذا شاء الله اقتلعها من جذورها ، بأن يرسل عليها ريحاً صرصراً عاتية ، تقوم بقلبها وانجعافها مرة واحدة ، فكذلك حال الفاجر يبتليه الله عز وجل بأنواع شتى من المحن والابتلاءات حتى يختبره ، ويمنحه فرصة التوبة والإنابة إلى الله ، فإذا لم يتب ويرجع إلى رشده ، فإن الله إذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر مرة واحدة لا رجعة فيها ، وهو فى ذلك مثل شجرة الأرزة إذا اقتلعت ، كان من جذورها مرة واحدة لم يبق لها أثر على الأرض .

ووجه الشبه بين الفاجر والشجرة المجتثة من جذورها ، هو عدم النفع ، فالشجرة لا ينتفع بها بعد قطعها ، اللهم إلا فى حال الإشعال للنار ، فالإفادة منها ضئيلة ، وكذلك الفاجر لا ينتفع به بعد موته ، بل يكره الناس سيرته الخبيثة ، فالنفع منه مثل الدخان الناتج من إحراق الشجرة المقطوعة ، ولذلك مُثِّل الفاجر بالشجرة الواحدة التى لا ينتج عنها إلا شجرة واحد إذا اقتلعت لم يبق لها أثر .

وبلاغة التمثيل فى هذا الحديث تكمن فى تمثيل حال المؤمن فى تقبله لأنواع البلاء والمحن التى يتعرض لها من الله عز وجل بحال الخامة من الزرع التى تتقبل موجات الريح (١) ، فتتقلب معها على وجوهها ، فلا يلحقها الأذى والضرر ، فكذلك حال المؤمن فى النهاية يرضى بقضاء الله وقدره ، فلا خور ولا جزع .أما الفاجر فى تعرضه لأنواع البلاء والمحن من الله عز وجل فهو حال شجرة الصنوبر التى ترفض الاستسلام والخضوع للريح ، فتقف فى وجهها صلبة قوية حتى إذا أراد الله هلاكَها سلَّط عليها ريحاً مهلكة ، فلا تستطيع المقاومة ، فتقلع من منابتها ، فكذلك حال الفاجر إذا لم يكن منه رجاء فى العودة لله يسلط عليه نفسه أو غيره ، فيهلك مرة واحدة . ونلاحظ أن المؤمن مُثِّل بالزرع الرطب اللين ؛ لأنه ليِنُ الجانب ، قريبٌ إلى الله ، ينوب إليه فى الرخاء ، وفى وقت الشدة أشد رجوعاً إليه، صبراً لا جزعاً ولا هلعاً ، وأنَّ الفاجر مُثِّل بالشجرة الصلبة ؛ لأنه فى فجره بعيد عن الله فى الرخاء ، وفى وقت الشدة أشد بعداً منه ، فسوقاً وكفراً ، فلا طمع فى رجوعه عن فسقه .

ومن بلاغة التمثيل هنا أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . يمثل بأشياء حسية لها على أرض الواقع وجود ؛ ليدلَّ على التقرير والإفهام من أقصر طريق ، فالتمثيل مأخوذ من واقع الحياة المعيشة ، وهذا له أثره فى قبول المتلقي للحديث لا ينكر ، كما أنه ينوع فى استخدامه الجملة ، ما بين اسمية وفعلية ، ففى حال إرادة الثبات والدوام نجده يستخدم الاسمية فيقول : " مثل المؤمن كمثل الخامة ، والفاجر كالأرزة " وفى حال التجدد والحدوث يستخدم الفعلية فيقول : " أتتها الريح كفأتها ، اعتدلت ، تكفأ ، يقصمها " فكل هذه الأفعال يتكرر وقوعها مرة بعد أخرها بفضل هبوب الريح .

ومن بلاغة الحديث حسن اختيار الألفاظ التى تناسب المعنى والمقام مثل المجيء بلفظة الريح بدلاً من الرياح؛ لأن الريح لا تكون إلا في التمحيص والفتنة

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري ": ١١٧/١٠.

والعذاب، أما الرياح فتكون طيبات مبشرات بالخير، والعطاء ([1]). وأن لفظة الريح لم تأت مع الفاجر ؛ لأن الله لا يختبره ولا يمحصه من ذنوبه ، بل يتركه على فجره حتى إذا أخذه ، أخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولم يفلته .

ومن بلاغة التمثيل في الحديث أنه جاء بأسلوب الشرط غير الجازم بإذا في قوله : (فإذا اعتدلتْ تكفأ بالبلاء) لإفادة تحقق وقوع كل من الشرط والجواب ، فكل منهما فعل ماض يدل على كثرة الاعتدال والتكفؤ أمام الريح ، وأنه يقتضي ذلك تجدد الفعل مرة بعد أخرى ، فالشرط هنا له دور فى إبراز دلالة التمثيل في الحديث ، فالمؤمن يشبه النبتة من الزرع ، أى الطري اللين منها ، تستجيب للريح وتتثنى معه ذهاباً وإياباً ، فإذا اشتدت عليها قلبتها حتى تمر الريح ، ثم تعود إلى ما كانت عليها من الاعتدال ، فإذا جاءت الريح مرة أخرى تتثنى معها مرة أخرى ، وهكذا يتكرر فعل جزاء الشرط ، ويتحقق وقوعه ، بتكرر فعل الشرط ، وتحقق وقوعه أولاً ، فكذلك حال المؤمن يتعرض لأنواع شتى من المحن والابتلاءات في حياته ، في صحته ومرضه ، وفى غناه وفقر ، وفى زوجه وأولاده، وغير ذلك من الحالات التى يتعرض لها كما تتعرض نبتة الزرع لهبوب الريح العاصف ، فينظر أيصبر أم يجزع .

والذى لا شك فيه أنَّ إفادة الأداة (إذا) لمعنى تحقق الوقوع فى الشرط والجواب ، إنما أتى لأنها وإن أفادت معنى الشرط ، إلا أنها فى أصلها تفيد معنى الظرفية ، تقول : إذا جئتنى أكرمتك ، فيكون المعنى : عند مجيئك لى يقع إكرامى لك، فكأن المجيء مفروض ومعلوم سلفاً ، والجواب متحقق بتحققه .([2]) والواضح أن (إذا) في

---

(١) انظر : د / على على صبح :" التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف " ١/ ٢٧.

(١) د / عبد الغنى الراجحي :" مقال " براعة الاستهلال وروعة الأساليب فى فواتح سور القرآن "، مجلة منبر

الحديث تفيد معنى المفاجأة ، والمباغتة ، فالمحن والابتلاءات تأتي المؤمن بغتة ، كما تأتى الريحُ الزرعَ فجأةً دون إنذار . كما لا يخفى أن جزاء الشرط محذوف في قوله : إذا شاء ، للعلم به ، والتقدير : إذا شاء قصمها . ولا شك في قدرة الله على ذلك .

الحديث الثامن :

((عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ضرب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما ، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة ، انبسطت عنه حتى تَغشى أنامله ، وتعفو أثره ، وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة قلصت ، وأخذت كل حلقة بمكانها ، قال أبو هريرة : فأنا رأيت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول بإصبعه هكذا فى جيبه ، فلو رأيته يوسعها ولا تتوسع)).([1])

فى هذا الحديث يمثل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حال البخيل وحال المتصدق بحال رجلين يرتديان جبتين من حديد ، لهما فتحة عند العنق ، فالمتصدق كلما تصدق بصدقة ، ابسط بها قلبه واتسع بها صدره ، فهو مثل مَن يلبس جبة من حديد لها فتحة عند العنق أعلى الصدر ،فإذا أراد إخراج يده ، اتسعت هذه الجبة عليه ، وانفسحت عنه حتى تحوى أنامله ، وتتمحي عنه ، فيبقى مسرور الفؤاد ، شرح الصدر ، وأما البخيل فكلما هم بصدقة ، فيمنعه بخله عن البر والعطاء ، فيصبح صدره ضيقاً حرجاً ، وقلبه غير منشرح لها ، فهو بمثل رجل يلبس جبة من حديد

الإسلام ، عدد شهر ذى القعدة ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م . ص٣٠.

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ٥٤٦١.

فتحتها عند نحره ((فإذا أراد إخراج يده أمسكت فى الموضع الذى ضاق عليها ، وهو الثدي و التراقي وذلك فى الصدر)).([1]) وإذا أراد توسيع تلك الجبة ، انقبضت عليه ، وانضم بعضها إلى بعض ، ولزمت كل حلقة منها مكانها ، وهكذا البخيل إذا أراد أن يتصدق حبسه بخله ، فيبقى فى حبسه مهموم الفؤاد ، حزين النفس .

وبلاغة هذا التمثيل تكمن فى تصدره الحديث وهذا من شأنه أن يقرر المعنى فى نفس المتلقي ، ويمكنه منه ، والمعنى فيه هو بيان حال المتصدق وفرحه بالصدقة ، والفائدة منها ، ولو كان فى مجرد الشعور بالسعادة ، وكذا بيان حال البخيل وهمه وغمه كلما فكر فى التصدق ، فلا يفعل ؛ إذ يمنعه بخله ، ومن ثَمَّ نعى ضرر التمسك بالبخل ، ولو كان فى مجرد الشعور بالضيق والحزن .

ومن بلاغة التمثيل هنا تنويع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى استعماله للجمل بين اسمية وفعلية ، فيستخدم الاسمية والفعلية فى دلالتيهما ((فإنْ أُريدَ الحدوثُ ، أتى بالجملة الفعلية ، وإنْ أُريدَ الثبوت ، أتى بالاسمية)).([2]) ومن الاسمية قوله : (مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد) وهذا له أثره فى بلاغة التمثيل ؛ إذ يشير إلى أن البخيل دائم على عدم التصدق ، فالبخل صفة راسخة فى نفسه ، والمتصدق على التضاد ، فهو دائم فى عمل الصدقة ومجبول عليها ، ومن توظيفه للجملة الفعلية نجد منها معظم تراكيب الحديث فى قوله : (قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما . فجعل المتصدق ـ تصدق ـ انبسطت عنه ـ تغشى أنامله وتعفو أثره ـ وجعل البخيل ـ همَّ بصدقة ـ قلصت ـ وأخذت كل حلقة بمكانها ـ يقول بإصبعه فلو رأيته يوسعها ولا تتوسع)

---

(٢)ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٢٨٩/١٠.

(١) الجرجاني ، محمد بن على : " الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة " ت/ د. عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب، القاهرة ط عام ١٩٩٧م ، ص٦٣.

كل هذا الكم من الجمل الفعلية . ماضوية ومضارعية . له أثره فى بلاغة التمثيل ؛ إذ يفيد أن هذه الأفعال تحدث مرة بعد أخرى من المتصدق والبخيل ، ويؤكد تكرار وقوع هذه الأفعال من كليهما تقييد الجمل الفعلية بالشرط (كلما) التى تدل على تكرار وقوع الجزاء بتكرار وقوع الشرط .

ومن بلاغة التمثيل . أيضاً . توظيف الرسول . صلى الله عليه وسلم . لأسلوب المقابلة والتضاد الذى يوضح المعنى المراد من التمثيل وهو الإكثار من الصدقة لفائدتها ، والبعد عن البخل لضرره ، ومن ثم فالمتصدق قريب من الناس ، قريب من الله ، قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الناس ، بعيد من الله ، قريب من النار ، ومن التضاد بين البخيل والمتصدِّق ، والمقابلة بين (فجعل المتصدِّق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره) وبين (وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة ، قلصت ، وأخذت كل حلقة بمكانها) ففى ذلك توضيحٌ لأهمية الصدقة والمبادرة إلى إخراجها ، ومدحٌ للمتصدق ، وفيه . أيضاً . ذمٌ لصفة البخل والبخلاء .

الحديث التاسع :

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .((ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائرُ جسدِه بالسَّهر والحُمَّى)).([1])

إن المؤمنين إخوة ، وفى اتحادهم قوة ، وفى تفرقهم ضعف ، وقد حرص الرسول . صلى الله عليه وسلم . فى هذا الحديث على تعاون المؤمنين بعضهم مع بعض ، يتراحمون ، والمراد أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر ،

---

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ٥٦٦٥.

ويتوادون ، والمراد التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، ويتعاطفون والمراد إعانة بعضهم بعضاً (١) ، فالإسلام يدعو إلى حسن الصلة بين أفراد المجتمع كله ، ومن أجل ذلك فقد مثَّل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حالة المؤمنين فى أثناء إيمانهم الكامل وصلتهم ببعض القائمة على الرحمة والتودد والتعاطف بحالة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو بالمرض تألم باقي الجسد ، وادَّعى المرض والحمى ، وقوفاً بجانب ذلك العضو المريض ، فكذلك حالة المؤمنين فى حال اتحادهم وتعاونهم تشبه حالة الجسد الواحد ، وهذا تمثيل صحيح يفيد المبالغة ؛ إذ المسلمون كلهم بمثل جسد واحد ، وفى ذلك تقريبٌ للمعانى المعنوية فى صورة حسية . والتمثيل يعبر عن صفات المسلمين أو ما ينبغى أن يكونوا عليه .

ووجه الشبه في التمثيل ليس مفرداً ، وإنما هو صورة منتزعة من متعدد مجموع أشياء وهى الجسد ، وشكوى عضو منه بالمرض ، وتألم سائر أعضائه بالألم والحمى ، فوجه الشبه هو الاتحاد والتعاون ـ وهو شيء عقلي ـ موجود عند أفراد المؤمنين ـ المشبه ـ في حالة تراحمهم وودهم وتعاطفهم ، وموجود بدرجة جلية محسوسة في أعضاء الجسد . المشبه به .

وبلاغة هذا التمثيل تدرك من خلال التقرير لحالة المجتمع المؤمن الذى يسوده التراحم والتعاطف ، فيصبح بمثابة الجسد القوى الخالي من الأمراض ، وهذا يلحظ من استخدامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأسلوب الخبر فى بداية الحديث (ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم) ، واستخدامه ـ أيضاً ـ لصيغة التفاعل فى قوله (تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم ، تداعتْ) وهذا له دلالته فى الحرص على طلب هذه الصفات من أفراد المجتمع بأسره ، وتفاعله ومشاركة بعضه بعضاً فى أفراحه وأتراحه ، وغير ذلك من المعانى الإنسانية التى دعا إليها الإسلام ، ومن ثمَّ ندرك أهمية

---

(٢) انظر : ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري "٤٦٩/١٠.

الألفة والتعاون والتماسك ، تلك المعانى التى أقرَّها الحديث ، وقام التمثيل هنا بتوضيحها وتثبيتها فى النفوس من خلال تصوير تلك المعانى المعنوية فى صورة حسية يدركها العقل بيسر ، فكأن الصورة الحسية فى الممثَّل به ـ الجسد ـ برهان وكشف للحجب للصورة المعنوية فى الممثَّل حالة التراحم والتواد والتعاطف التى عليها المجتمع ، فيبرز هذا التجسيد المعنى المراد من التمثيل وهو(تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً) .(١)

والأصل فى الخطاب أن يكون لمشاهد معين ، والخطاب فى بداية هذا الحديث (ترى المؤمنين) لغير معين وهذا على خلاف الأصل ، ولعل السرَّ فى ذلك هو قصد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعميم الخطاب لكل مَن يمكن خطابه على سبيل البدل لا التناول دفعة واحدة ، وفى ذلك تنبيه لكل متلقي للحديث ـ قارئاً أو سامعاً ـ إلى أهمية حق المسلم على أخيه المسلم من الرحمة والود والتعاون التى تجعل المجتمع المسلم بمثابة الجسد الواحد فى تماسكه وارتباطه بعضه ببعض .

وجاء الشرط بـ (إذا) في قوله : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ؛ ليفيد أن الجزاء يتوقف حصوله على حصول الشرط ؛ لأن العلاقة بين الشرط والجزاء علاقة سببية ، فإذا وقع الشرط وهو شكاية أحد أعضاء الجسد ، وقع الجزاء وهو تألُم باقي أعضاء الجسد مشاركة له ، وادَّعاء المرض والحمى ، فجاء الشرط والجزاء على صيغة الماضي الذى يفيد تحقق الوقوع مثل حوادث الزمان التى وقعت بالفعل .

ويلعب تركيب الشرط دوراً فاعلاً في بناء التمثيل ، الذى يشبه فيه صورة المؤمنين فى حالة تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، وهى صورة عقلية لا تدرك إلا بالعقل

---

(١) ابن حجر العسقلاني : " المرجع السابق " ١٠/٤٧٠.

بصورة الجسد إذا تألم منه عضو ، تألم له سائر أعضائه ، وادَّعوا المرض والحمى ، وهى صورة حسية تدرك بالحس ، وقد وقع المشبه به في حيز التركيب الشرطي ، الذى ساهم في إبراز الصورة المحسوسة ، وأفاد تحقق الجزاء فيها بسبب تحقق الشرط قبله ، مما يجعل تمثيل المعنوي في تلك الصورة الحسية مقررة وثابتة في ذهن المتلقي .

الحديث العاشر:

عن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((مثلى ومثلُ ما بعثنى الله كمثلِ رجلٍ أتى قوماً ، فقال : رأيتُ الجيشَ بعينى ، وإنِّي أنا النذيرُ العريان ، فالنجاءَ النجاءَ ، فأطاعه طائفة ، فأدلجُوا على مهلهم ، فنجوا وكذبته طائفة ، فصبَّحهم الجيشُ فاجتاحهم)) .([1])

وفى هذا الحديث يمثل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه وما جاء به من الهدى لتحذير قومه من الولوج فى النار بحالة الرجل الذى يُضرب به المثل فى الإنذار والتحذير ـ النذير العريان ـ فالممثَّل به (رجل لقى جيشاً فسلبوه وأسروه ، فانفلت إلى قومه ، فقال : إنى رأيت الجيش ، فسلبونى ، فرأوه عرياناً ، فتحققوا صدقه ؛ لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه فى النصيحة ، ولا جرتْ عادته بالتعري ، فقطعوا بصدْقِه لهذه القرائن ، فضرب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه ولِمَا جاء به مثلاً بذلك لِما أبداه مِن الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه). ([2])

---

(١) صحيح البخاري : حديث رقم : ٦١١٧ وانظر حديث رقم : ٦٨٥٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري " ٣٣٣/١١.

ومثَّل كذلك حالة مَن أطاعه ، وسار على دربه ، وصدق ، وعمل بما جاء به الإسلام ، فنجا بنفسه من الهلاك والعذاب بحالة مَن صدق ذلك الرجل . النذير العريان . وأدلج ، فنجا من هجوم الجيش ، ومَن عصا النبى . صلى الله عليه وسلم . وكذبه فى إنذاره ، فمكث على كفره بحالة مَن كذب النذير العريان ، فمكث فى مكانه ، فصبَّحهم الجيش ، فأبادهم عن آخرهم . والتمثيل هنا مأخوذ من مخزون ثقافة المسلمين عن الممثَّل به .

وبلاغة التمثيل هنا تكمن أنه وقع فى بداية الحديث ، فينقل نفس المتلقي من فهم الأمور العقلية وهى ما جاء به النبى من الهدى والبينات التى ينذر بها المسلمين إلى إدراك أمور حسية وهى تلك الواقعة التى حدثت لذلك الرجل ، فعمت وشاعت بين الناس ، فضرب به المثل فى الإنذار ، وفى هذا الانتقال من المعنويات إلى المحسوسات ما يقرب المعنى من ذهن وأفهام المخاطبين ، فمن أسباب تأثير التمثيل وبلاغته . كما يقول عبد القاهر . (أن تنقلها . أى النفس . عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلم بالفكر إلى ما لا يُعلم بالاضطرار والطبع ؛ لأن العلم المستفاد من طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة ، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر فى القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : ليس الخبر كالمعاينة). ([1])

ومن أسرار بلاغة التمثيل هنا اعتماد النبى . صلى الله عليه وسلم . فيه على التأكيدات المختلفة ، فمنها ما يدل على التأكيد بالمعنى فى قوله (بعينى) فالمعنى الممثَّل به مؤكد بالمشاهدة ، ومنه (النذير العريان) ففيه دلالة على تأكيد صدق إنذاره ، وقرب مجيء العدو ، ومن التأكيد بالأداة التى تفيد ذلك قوله : (إنى أنا النذير العريان) فإن التأكيدية والضمير . أنا . ضمير الفصل كلاهما يفيد وقوع الممثَّل

(١) عبد القاهر الجرجاني : " أسرار البلاغة " ص ١٢١.

بـه ، ممـا يزيد فـى أُنْسِ المتلقي ، واستخدام النبـى ـ صـلى الله عليه وسلم ـ فـى تمثيلـه أكثر من مؤكد يشير إلى شدة إنكار القوم لما جاء به من الهدى والإنذار . والأسلوب الذى احتوى التمثيل يحمل أكثر من مؤكد ، وهذا يسمى عند البلاغيين خبراً إنكارياً .([1]) فالمتكلم إذا ألقى الخبر إلى المخاطب ولمح عليه أمارات الإنكار أكد لـه الكـلام بأكثر من مؤكد حتى يزيل الشك والريبة عنه ، وكما يقول عبد القاهر : (والكـلام إذا كان مع المُنْكِر كانت الحاجة إلى التأكيد أشد) .([2]) إذاً التأكيد أحد مؤثرات التمثيل فى هذا الحديث وأحد دلائل بلاغته .

ومن أسرار الصياغة فى بلاغة التمثيل فـى هذا الحديث أن النبـى ـ صـلى الله عليه وسلم ـ اعتمد علـى دلالـة الكلمـة فـى حـالى (التنكير والتعريف) لإبراز المعنـى وراء هذا التمثيل ، وهو حرصه على أمته وإنقاذه لهم من الوقوع فى الكفر والعصيان ، فاستخدم النكرة فـى سياق هذا التمثيل فـى قولـه (رجل) أى رجل فرد من أشـخاص الرجـال ، ولـم يعين ؛ لأن الغرض لـم يتعلـق بتعيينـه ، وإن كـان معروفاً ، فهـو رجـل يضرب به المثل فى إنذار قومه من هجوم العدو ، فأصبح معنـى عاماً شائعاً يضرب لكل من ينذر قومه ، وقد يكون التنكير هنا واجباً ؛ لأن السياق غير صالح للتعريف ، أو أن النبى لا يعرف من الحقيقة إلا ذلك القدر وهو أنـه رجل ، أو أنـه يدعى أنـه لا يعرف إلا جنسه ([3]).

---

(٢) أحمد المراغي : " علوم البلاغة " دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط أولى ، عام ٢٠٠٠م ، ص ٥٨. وانظر د/

عبد الرازق أبو زيد : " علم المعاني بين النظرية والتطبيق " ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٣) عبد القاهر الجرجاني : " دلائل الإعجاز " ص ٣٢٧.

(١) لمعرفة المزيد عن دلالات التنكير ، انظر د/ محمد عبد المطلب :" البلاغة والأسلوبية " الشركة العربية للنشر

بالقاهرة ، ط أولى ، عام ١٩٩٤م ، ص ٣٤٢ وما بعدها

وأرجح أن السياق لا يقتضى تعريف (رجل) فى هذا الحديث ؛ لأنه يُضرب به المثل فى الإنذار ، فالأهم هنا هو إدراك حقيقة المثل ومغزاه ، وليس إدراك الشخصية التى مثَّل بها . ومن النكرة قوله (قوماً) وقد وقعت الكلمة فى سياق جزء الجملة وهى مكملة لمعناها ، وهى هنا لا يتعلق بها غرض بلاغي حيث لا يطلب بها تعيين المقصود فى الكلام ، فلفظ قوم هنا يفيد الشيوع والعموم ، وهذه دلالة عامة ، ولا حاجة للمستمع إلى تعريفهم ، فلا يتعلق بتعيينهم غرض . وورد فى هذا التمثيل لفظة (طائفة) نكرة مرتين للدلالة على عنصر التقليل ، أى قليل من القوم صدَّقهُ ، وقليلٌ منهم كذَّبه ، وغرض التقليل ينظر إليه باعتبار ضآلة الكمية ، والنكرة هنا تأتى فى سياق تقسيم القوم إلى فريقين : فريق أطاعه ، ففاز بالنجاة ، وفريق عصاه وكذبه ، فلحقه الهلاك ، وهذا السياق التقسيمي يشير إلى أن دلالة النكرة تكون على البعضية .

وقد وظف النبى . صلى الله عليه وسلم . المعرفة فى كلمة (الجيش) مرتين ، ومن دلالة التعريف بأل (الإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطبك) .([1]) فاللام فى (الجيش) للعهد الحضورى أو العلمى حيث لم يتقدم لها ذكر لا صريحاً ولا كنائياً ، فلفظ الجيش الأول فى قوله: (رأيت الجيش بعينى) هو ذلك الجيش المعهود بين المتكلم ـ الرجل ـ وقومه ، والمراد به العدو ، وتأكيداً لأل التعريفية التى تفيد العهد الحضورى قال : (بعينى) أما كلمة الجيش الثانية ففى قوله :(فصبحهم الجيش فاجتاحهم) فإنَّ أل التعريفية هنا تشير إلى معهود خارجي وهذا المعهود صرح به

---

(٢) الخطيب القزويني : " الإيضاح فى علوم البلاغة " ص ٧٢.

فى الحديث قبل ذلك معرَّفاً ، فقال : رأيت الجيش ... فصبَّحهم الجيش (ولهذا تسمى لام العهد الخارجي الصريح ، ويقصد بها زيادة التمكين).(١)

ومن بلاغة تمثيل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه اعتمد الطباق والمقابلة ، فقال: (فأطاعه طائفة ـ وكذبته طائفة / ومثلُ مَن أطاعني فاتبع ما جئتُ به ـ ومثلُ مَن عصاني وكذبَّ ما جئتُ به من الحق) وليس معنى ذلك أنه في ذلك الطباق المباشر كان يقصد المعاني المباشرة التى تقتضيها اللغة اقتضاءً مباشراً ؛ وإنما نجده قد وظف التضاد توظيفاً حيوياً يخدم الصورة التمثيلية في الحديث ، فأبرزت صورة مَن عصا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذَّبه في إنذاره ، فبقى على كفره بصورة مَن كذَّب النذير العريان ، فبقى فى مكانه ، فصبَّحهم الجيش ، فأبادهم عن آخرهم ، فليس مِن شكٍ في أنَّ الطباق والمقابلة نقلت السامع من الأمور العقلية وهى الهدى والبينات التى جاء بها النبى نذيراً إلى إدراك أمور حسية ، وهى تلك الواقعة التى حدثت لذلك الرجل ، الذى ضُرب به المثل فى الإنذار . ونلاحظ أنه استخدم التصديق فى جانب الطاعة ، واستخدم التكذيب فى جانب المعصية ؛ للدلالة على أن الطاعة يسبقها التصديق ، وأن العصيان ملزوم عن التكذيب .

ومما كان له أثر بارز فى بيان بلاغة التمثيل هنا هو استعماله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للفاء كثيراً ؛ للدلالة على التعقيب والترتيب وسرعة الاستجابة ، فقال: (فالنجاءَ النجاءَ ، فأطاعه طائفة ، فأدلجوا على مَهَلهم ، فنجوا وكذبته طائفة ، فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم) وفى سياق ذلك يستخدم الألفاظ الدالة على المعنى أصدق دلالة فقال :(مَهَلهم) للدلالة على هيئة القوم فى الإدلاج ليلاً ، وقال:(فصبَّحهم) بتضعيف الباء مما يدل على أن المجيء كان بغتة وبقوة ، واستعمال (

---

(١) عبد المتعال الصعيدي : " البلاغة العالية ـ علم المعاني " مكتبة الآداب القاهرة ط٣ ،عام ٢٠٠٢م " ص ٧٦.

فاجتاحهم) تدل على الهلاك ، فكأنَّ الجيشَ استأصلهم عن شأفتهم ، وفى كل ذلك ما يبرز جمال التمثيل فى الحديث الشريف ويقوى المعنى فيه .

الحديث الحادى عشر :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ((إنما مثلى ومثلُ الناس كمثل رجلٍ استوقدَ ناراً فلما أضاءتْ ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها ، فجعل ينزعَهنَّ ، ويغلبنَّه ، فيقتحمنَ فيها ، فأنا آخذُ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحمون فيها)).(١)

وفى هذا الحديث يمثل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاله مع الناس من أمته بحال رجل أشعل ناراً للإنارة والتدفئة ، فلما أنارت ما حوله جاءت الفراشات والحشرات من كل حدب وصوب تتجه نحوها ، وتتهافتْ عليها جهلاً منها وعدم إدراك لمصلحتها ، وهى لا تعلم أن فى ورودها هلاكاً لها ، فأخذ الرجل يدفعها بعيداً عن النار حتى لا تحرق ، وتهلك ، ومع ذلك تصرُّ على إقحام نفسها فى النار ، وكذلك حال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الناس من أمته ، والمقصود بهم الذين يرتكبون المعاصي والذنوب جرياً وراء شهواتهم ونزواتهم الشريرة ، فهم يرمون أنفسهم فى أهوائهم من غير روية ولا نظر إلى عاقبتها ، وقد مثلهم بتلك الفراشات والحشرات التى بُهرت بضوء النار ، فأقحمتْ نفسها فيها دون نظر إلى عاقبة ذلك ، وهو هلاكها ، ومثل نفسه بالممسك بحجزهم . وهى أماكن الإزار وسط جسم الإنسان . لكى لا يقعوا فى نار جهنم التى حفَّت بالشهوات ، وعلى الرغم من ذلك يأبون إلا أن يقعوا فيها ، فينفلتون من يده

---

(١) صحيح البخاري : حديث رقم ٦١١٨.

كما تنفلت الفراشات إلى النار الموقدة.(١) ومعنى الممثل به مأخوذ من البيئة المعيشة للرسول والصحابة .

وتكمن بلاغة هذا الحديث فى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرب المعنى إلى نفوس الناس عن طريق التماثل بين حالته مع أمته وحالة الرجل مع الفراشات ، فالنبى يريد إنقاذ الناس من دخول نار جهنم ، والرجل يريد إنقاذ الفراشات من الوقوع فى النار ، فبلاغة التمثيل هنا تتجلى فى الجهة الجامعة بين الحالتين ، وهى عدم التروي والسير وراء الأهواء والرغبات ، فتكون النتيجة هى الهلاك ، ومن ثمَّ فالحديث ينبه كل مسلم إلى التروي وإعمال الفكر فيما يعرض عليه من عمل ، وفيه إيقاظ للنفس من اتباع الشهوات والأهواء الشخصية التى تضر صاحبها .

ومن بلاغة التمثيل استخدام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفعل استوقد بمعنى أوقد وهو أبلغ من وقد ؛ إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى والمبالغة فيه . وتنوّع النبى فى استخدام الجملة ما بين اسمية وفعلية ، له دلالته ، فيستخدم الاسمية إذا أراد أن يدل على الثبات والاستمرار مثل (إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً ـ وأنا آخذ بحجزكم ـ وأنتم تقحمون أنفسكم) ومن هنا ندرك مدى حرصه على أمته من الولوج فى النار ، هذا بالإضافة إلى الحصر الواقع فى بداية الحديث ؛ إذ يفيد تأكيد حرصه على إنقاذ أمته من العذاب ، وإذا أراد إفادة التجدد والحدوث استعمل الجملة الفعلية فقال (استوقد ، أضاءت ، جعل ، تقع ، يقعن ، ينزعهن ، يغلبنه ، فيقتحمن ، تقحمون) .

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : " فتح الباري" ٣٣٥/١١ وما بعدها .

وقوله : فأنا آخذ بحجزكم عن النار : فيه مجاز مرسل (١) ، فقد استعمل لفظ النار والمقصود المعاصي ، أى وضع المسبب موضع السبب ؛ لأن المراد أن يمنعهم من ارتكاب المعاصي التى تكون سبباً فى دخول النار.

ومن بلاغة هذا التمثيل التلوين فى الخطاب ، فقد التفت . صلى الله عليه وسلم . من الغيبة فى قوله : مثل الناس إلى الخطاب فى قوله : بحجزكم عن النار، وأنتم تُقحمون فيها ، للدلالة على أن الناس فى حاجة إلى مَن ينذرهم أكثر ممن يبشرهم ، وفيه دلالة على حرصه على إنقاذ أمته من الوقوع فى النار .

من أهم نتائج البحث:

* هذا البحث يتناول بلاغة التمثيل فى أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ برواية الإمام البخاري فى صحيحه من خلال الشواهد التى تقوم على التماثل بين حالين أو معنيين أو صورتين ، والتماثل لا يعنى التطابق تمام المطابقة بين الممثَّل والممثَّل به ، وإنما الثاني يؤتى به كتأكيد للأول وحجة له .

* كثرة وقوع التمثيل فى صدر أحاديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم ـ وهذا يبعث المعنى فى نفس المتلقي بوضوح وجلاء مؤيدين بالبرهان .

*اعتماد التمثيل على إبراز المعنى فى صورة واضحة من خلال تمثيل الأمور المعنوية فى صورة محسوسة مما يقرب المعنى المراد من ذهن المخاطب .

*بلاغة التمثيل تظهر جلية فى اعتماد الرسول . صلى الله عليه وسلم . على كثير من أسرار الصياغة منها أساليب التوكيد ، والمقابلة ، والتقسيم ، والتشبيه والمجاز ، والالتفات وغير ذلك .

---

(١) المجاز المرسل هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة كالسببية والمسببة وغير ذلك انظر : عبد المتعال الصعيدي : " مرجع سابق " ص ٧٥.

* يعبر التمثيل فى الحديث النبوي عن معان متعددة منها ما بعث به الله رسوله من الهدى والبينات ، وفضله على الأنبياء السابقين عليهم السلام ، ومنها ماهو فى العبادات كقراءة القرآن وفضل مدارسته وحامله ، وفضل المتصدق على البخيل، ومنها ما هو فى صفات المؤمنين .

*استقى الرسول . صلى الله عليه وسلم . معانى الممثل به من مصادر متعددة منها ما هو من مظاهر الكون وما فيه من زروع وحيوان وغير ذلك ، ومنها ما هو من أحوال البيئة المعيشة للمسلمين ، ومنها ما يعبر عن أحوالهم الفكرية ومخزونهم الثقافي .

قائمة المصادر والمراجع :

(1) الأنصاري ، ابن هشام : " شرح شذور الذهب " ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر الأزهر الشريف ، د ت .

(2) البخاري : محمد بن إسماعيل ت256هـ " صحيح البخاري " مراجعة د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت ، 1987 م .

(3) الجرجاني : عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن ، ت471هـ : " أسرار البلاغة " قراءة وتعليق/ محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة: ط أولى ، عام 1991م .

*" دلائل الإعجاز " ت / محمود شاكر ، مطبعة المدني والقاهرة وجدة ، ط ثالثة ، عام 1992م .

(4) الجرجاني ، محمد بن على بن محمد : " الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة " ت/ د. عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ط عام 1997م.

(5) الرازي: فخرالدين محمد بن عمر:" مفاتيح الغيب" ط دار الغد العربي، د ت.

(٦) ابن رشيق القيرواني : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه " ت / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، د ت .

(٧) السكاكي ، سراج الدين أبو يعقوب بن أبى بكر ت ٦٢٦هـ : " مفتاح العلوم ت / نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ت .

(8) الشريف الرضي :" المجازات النبوية " ت . د / طه محمد الزيني ، مكتبة بصيرتي القاهرة ، د ت.

(9) د. عباس حسن : " النحو الوافي" دار المعارف بمصر ، ط سادسة ، د ت .

(١٠) د. عبد الله علي محمد حسن :" البحث البلاغي ومراحل تطوره " مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط أولى ، عام ١٩٩٢م .

(١١) د. عبد الرازق أبو زيد زايد : " علم المعاني بين النظرية والتطبيق " مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط ثانية ، عام ١٩٩٦م .

(١٢) د. عبد القادر حسين " فن البلاغة " عالم الكتب ، بيروت ، ط ثانية ، عام ١٩٨٤م .

(١٣) د. عبد العاطي غريب على علام : " من قضايا البلاغة العربية " مطبعة الأمانة ، مصر ، ط أولى ، عام ١٩٨٧ م .

(١٤) د. عبد العزيز عتيق :" علم البيان " دار الآفاق العربية ، ط أولى، عام ٢٠٠٦م .

(١٥) د. عبد الغنى الراجحي :" مقال " براعة الاستهلال وروعة الأساليب فى

فواتح سور القرآن "، مجلة منبر الإسلام ، عدد شهر ذى القعدة ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م .

(16) عبد المتعال الصعيدي :" البلاغة العالية : علم البيان " مكتبة الآداب بالقاهرة ، طبعة أولى ،عام 2000م .

* "البلاغة العالية . علم المعاني " مكتبة الآداب القاهرة ط٣ ،عام ٢٠٠٢م.

(١٧) العسقلاني : أحمد بن على بن حجر :" فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ت / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ومحب الدين الخطيب ، دار الفكر ، القاهرة ، د ت .

(١٨) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل ت ٣٩٥هـ :" الصناعتين" ت / د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ، عام١٩٨١م .

(19) د. على على صبح :" التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف " المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ط أولى ، عام 2002م .

(٢٠) د. فضل حسن عباس :" البلاغة فنونها وأفنانها : علم البيان والبديع " دار الفرقان ، الأردن ، الطبعة الحادية عشرة ، عام ٢٠٠٦م .

(21) القزويني ، جلال الدين أبو عبدالله الخطيب ت 739هـ : " الإيضاح فى علوم البلاغة " تحقيق : د/ عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، طبعة أولى ، عام 1996م .

(22) المراغي ، أحمد مصطفى : " علوم البلاغة " دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط أولى ، عام 2000م

(23) المرصفي ، حسين بن أحمد ، ت 1307هـ : " الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية " طبع المدارس الملكية بدرب الجماميز بالقاهرة ، ط أولى، عام 1292هـ .

(٢٤) د. محمد شفيع الدين السيد : " التعبير البياني " مكتبة الشباب ، القاهرة ، عام ١٩٧٧.

(25) د. محمد عبد المطلب :" البلاغة والأسلوبية " الشركة العربية للنشر بالقاهرة ، ط أولى ، عام 1994م ،

(٢٦) د. منير سلطان :" البديع في شعر شوقي " منشأة المعارف بالأسكندرية ، ط ثانية ، عام ١٩٩٢م .

(٢٧) ابن يعيش: موفق الدين علي " شرح المفصل " عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٣ هـ .

ملخـــــص

هذا البحث يدور حول بلاغة التمثيل فى أحاديث صحيح البخاري ، وأقصد بالتمثيل ما يساق من التماثل والتشابه بين حالين أو موقفين أو معنيين ، فتساق الحالة الثانية أو المعنى الثاني تأكيداً ، وتصويراً للحالة الأولى بالإشارة إلى هيئتها بما يعطى المعانى رفعة واقتداراً ، ويثير فى النفس رضاءً وانجذاباً ، أو نفوراً وإعراضاً ، وغير ذلك من المشاعر الإنسانية ، فهدفنا هو دراسة التماثل بين الحالين فى الحديث الشريف ، وقد وافق جَهْدنا فى هذا البحث وقوع أحد عشر تمثيلاً فى الحديث النبوي الشريف، نحاول الوقوف عندها وبيان بلاغتها ، وأثرها فى النفس .

وقد تناولت فى هذا البحث بداية التمثيل لغة واصطلاحاً فى محاولة لتأصيل الكلمة لغوياً ، ثم الوقوف على ما استقرت عليه فى اصطلاح البلاغيين ، ثم وقفت عند بلاغة التمثيل، وأثره فى الحديث الشريف من خلال شواهده التى وردت فى أحد عشر حديثاً بغية الكشف عن قيمتها البلاغية ، وأثرها على المتلقي ، وقد اعتمدت فى ذلك على الأحاديث الواردة فى صحيح البخاري ، وقد ذيلت عملى هذا ببعض النتائج التى توصل إليها البحث ، راجياً الله عز وجل السداد والتوفيق.

REPRESENTATION OF ELOQUENCE

IN CONVERSATIONS BUKHARI

Dr. Ibrahim Abdel-Latif El Madawy Al Imam*

Abstract

This research is about the eloquence of representation in the sayings of Sahih Bukhari, and I mean representation is being driven from the symmetry and the similarity between the two cases or two positions or concerned, Vtsaq second case or the second meaning of confirmation, and the depiction of the situation first with reference to the bench as given meanings elevation and Aqtdara, and raises the self-satisfaction and affinity , or averse and away, and other human emotions, our goal is to study the symmetry between both cases in the Hadith, has been approved by our best in this research and the occurrence of a ten-represented in the hadith, we are trying to stand up then and a statement eloquent, and its impact on the Self

Have addressed in this research beginning representation language idiomatically in a bid to consolidate the word linguistically, and then stand on what settled it in the term Albulageyen, then stood at the eloquence representation, and its impact in the hadith through corroborating reports received in a ten newly in order to detect the value of rhetorical, and their impact on the receiver, it has been adopted in the conversations contained in the Sahih Bukhari, has been appended to this some practical findings of the research, pleading with God Almighty payment and reconciliation

---

Doctor of Arts Mansoura University Faculty of Arts*